بسم الله الرحمن الرحيم

أولا: الإيمان باليوم الآخر:

تمهيد:

إن الإيمان بالبعث أمر معلوم من الدين بالضرورة، ومنكره خارج عن الإسلام. ولقد خص ذكر اليوم الآخر بمزيد من العناية والتعظيم لشأنه في كتاب الله تعالى وفي سنة نبيه ﷺ، وقد أجمع على ذلك المسلمون.....

-عناية الكتاب والسنة بالإيمان باليوم الآخر:

إن المتتبع لطريقة القرآن الكريم في مجادلة خصوم العقيدة؛ يجد أن الاهتمام باليوم الآخر أخذ قسطاً واسعاً من تلك الحجج والبراهين الدامغة لمنكري اليوم الآخر، وكذا في السنة المطهرة، ويتمثل ذلك فيما يلي:

١- ربط الله تعالى الإيمان به بالإيمان باليوم الآخر:

كما قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ [البَقَرَة: ١٧٧] فنحن نرى كيف ربط الله تعالى الإيمان به بالإيمان باليوم الآخر؛ وجعله في المرتبة الثانية بعد الإيمان بالله.

فلا إيمان إذاً للشخص وإن قال إنه مؤمن بالله حتى يؤمن باليوم الآخر كإيمانه بالله تعالى.

ويتمثل كذلك ربط الإيمان بالله باليوم الآخر من السنة المطهرة في مثل قوله ﷺ: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه".

٢- الإكثار من ذكره في القرآن الكريم وفي السنة النبوية:

فقلما تخلو سورة من سور القرآن عن التحدث عنه وتقريبه إلى الأذهان بشتى الأساليب، من إقامة للحجة والبرهان، أو من ضرب الأمثال، كالاستدلال بالنشأة الأولى، وكذا خلق السماوات والأرض، وإحياء الأرض بعد موتها – على الإعادة، وما إلى ذلك من المسالك التي سلكها القرآن الكريم...

٣- كثرة الأسماء التي جاءت له في القرآن الكريم:

فقد وردت أسماء كثيرة وكلها تبين ما سيقع في هذا اليوم من أهوال.

منها: البعث – الدين – الصاخة – الطامة الكبرى – القارعة – الحاقة – يوم الحشر – يوم التغابن – الآزفة – يوم الحساب – اليوم الآخر – الآخرة – اليوم الموعود – الساعة

ومعلوم من أساليب العرب أنهم يكثرون الأسماء للشيء إذا كان ذا أهمية وشأن، وقد نزل القرآن بلغتهم.

ولتلك العناية أسباب نذكرها فيما يلي:

بعض أسباب العناية باليوم الآخر:

لقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم على نبيه محمد ﷺ في وقت انمحت فيه كثير من الأمور التعبدية، وجهلت فيه على الخصوص عقيدة الإيمان باليوم الآخر، وحرف هذا الاعتقاد لدى أهل الكتاب من يهود ونصارى –وإن كانوا يؤمنون باليوم الآخر عموماً – لكنهم على جهل كبير بحقيقته، وما ينبغي اعتقاده فيه، وغير هؤلاء وثنيون أو مجوس لا يؤمنون به مطلقاً عند بعضهم، وعند بعضهم الآخر يؤمنون أن هناك عودة للروح، لكنه لا يمت إلى الإيمان باليوم الآخر كما جاءت به الأنبياء بأي صلة، كما هو الحال عند الهنود والبوذيين وغيرهم من الفرق الضالة.

وعلى هذا فمن أسباب تلك العناية ما يلي:

١- إنكار المشركين لليوم الآخر أشد الإنكار، ونسبة ما يشاهد من الإحياء والإماتة إلى الدهر، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ٢٤﴾ [الجاثية: ٢٤]
فكان من الأمور البديهية أن ينزل القرآن بتلك الحجج القوية ليشد من أزر الرسول ﷺ في مواجهة ذلك السيل الجارف من الجحود لليوم الآخر.

٢- التأكيد على أن هذه الحياة إنما جعلت لهدف أعلى وغاية سامية، فلولا أن هناك يوماً يجازى فيه المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته؛ لما كان هناك فرق بين عمل الخير وعمل الشر، ولا كانت هناك فضائل ولا رذائل، فالحياة فوضى، والمصير مجهول، ولا وازع نفسي، ولا ضمير حي.

إذاً فلا عجب إن رأينا الإسلام يهتم بذكر اليوم الآخر، ويحث على الإيمان به، ويجعله من أهم القضايا الأساسية التي لا يمكن أن يسمى الشخص مؤمناً إلا إذا جاء بها، معتقداً صحتها في قرارة نفسه.

فالإسلام خاتم الديانات ورسوله خاتم المرسلين، ولا عجب كذلك حينما نرى ونقرأ حقائق وتفاصيل عن اليوم الآخر لم تكن معلومة عند أهل الديانات السابقة.

وهذا هو الذي حمل بعض الفلاسفة ومن سار على طريقهم على القول بأنه لم يفصح بمعاد الأبدان إلا نبينا محمد ﷺ ...

ولأن تلك التفاصيل لم تكن معلومة لدى الكفار من قريش وغيرهم؛ نرى أن الإسلام قد سلك مسالك شتى وطرقاً متعددة في إقناع الكفار بالإيمان باليوم الآخر، مبيناً أن هذا الكون لابد وأن ينتهي ويزول كل أثر له، وأنه لم يخلق عبثاً دون حساب وجزاء.

معنى الإيمان باليوم الآخر وحكمه مع الأدلة.

أولا: معنى اليوم الآخر:

قال تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [البَقَرَةِ: ١٧٧] إلى آخر الآية الكريمة.

وقال تعالى: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧﴾ [الأَعْلَى: ١٦ - ١٧]

أ- تعريف (اليوم الآخر) لغة:

معنى (اليوم): الياء والواو والميم: كلمة واحدة هي اليوم الواحد من الأيام، وهو مذكر، وجمعه أيّام.

وقد يراد باليوم: الوقت مطلقاً، ليلاً أو نهاراً، قليلاً أو كثيراً، كيوم الدين؛ لعدم الطلوع والغروب حينئذ.

ويأتي (الآخر) في اللغة بعدة معانٍ منها: الباقي، والتالي للأول، والغائب، ونقيض وخلاف المتقدم، ومقابل الأول، ولا يتعدد.

ب- تعريف (اليوم الآخر) شرعاً:

هو يوم القيامة الذي لا يوم بعده، والذي تُعاد فيه الأرواح إلى الأجساد، وتُبعث فيه الخلائق للجزاء والحساب.

ج- سبب تسمية (اليوم الآخر) بهذا الاسم:

قال ابن حجر رحمه الله: (وأما اليوم الآخر فقيل له ذلك لأنه آخر أيام الدنيا، أو آخر الأزمنة المحدودة).

وعلى هذا فالمراد باليوم الآخر أمران:

الأول: فناء هذه العوالم كلها وانتهاء هذه الحياة بكاملها. الثاني: إقبال الحياة الآخرة وابتداؤها.

فدل لفظ اليوم الآخر على آخر يوم من أيام هذه الحياة وعلى اليوم الأول والأخير من الحياة الثانية، إذ هو يوم واحد لا ثاني له فيها البتة.

ثانياً: حكم الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر واجب على الإجمال، وعلى التفصيل فيما ثبت عند المكلف، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "على كل مكلف أن يقر بما ثبت عنده من أن الرسول أخبر به وأمر به، وأما ما أخبر به الرسول ولم يبلغه أنه أخبر به، ولم يمكنه العلم بذلك فهو لا يعاقب على ترك الإقرار به مفصلا، وهو داخل في إقراره بالمجمل العام".

ومنكره كافر، لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [النِّسَاء: ١٣٦]

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ١٢٦ ﴾ [البَقَرَةِ: ١٢٦]

وقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ٢٦٤ ﴾ [البَقَرَةِ: ٢٦٤]

وقوله تعالى: ﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ٢٩ ﴾ [التَّوْبَةِ: ٢٩]

وقوله ﷺ لما سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان؛ قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره".

مسألة: ما الذي يتضمنه الإيمان باليوم الآخر؟

يتضمن الإيمان باليوم الآخر ثلاثة أمور:

١- الإيمان أشراط الساعة التي من مقدماته.

٢- البرزخ وما يجري فيه إذ هو أول منازل الآخرة.

٣- النفخ في الصور فالبعث وما بعده إلى الاستقرار في دار القرار.

المراد بالروح ومستقرها في البرزخ، والفرق بينها وبين النفس، وإبطال دعوى التناسخ وتحضير الأرواح

أولا: المراد بالروح:

التعريف لغة:

الرُّوح والرَّوح والرِّيح من أصل واحد، اكتنفته معانٍ تقاربت، فبُني لكل معنى اسم من ذلك الأصل، وخولِف بينها في حركة البنية"[1].

قال ابن فارس: "الراء والواو والحاء أصل كبير مطرد، يدل على سعة وفُسحة واطّراد، وأصل ذلك كله الرِّيح، وأصل الياء في الرِّيح الوا، وإنما قلبت ياء لكسرة ما قبلها، فالرُّوح روح الإنسان، وإنما هو مشتق من الريح، وكذلك الباب كله، والرَّوح: نسيم الرِّيح، ويقال: أراح الإنسان، إذا تنفس، ويقال، أرْوَح الماء: تغيَّرت رائحته"[2]

وفي كتاب العين: "الرُّوح: النفس التي يحيا بها البدن، يقال: خرجت روحه؛ أي: نفسه، ويقال: خَرَج، فيُذكَّر، والجمع: أرواح"[3].

التعريف اصطلاحاً:

عين حادثة، مجهولة في بعض أحوالها، لطيفة، قائمة بنفسها، ذات صورة، وصفات، لا تكيف، تتصل بالبدن فيحيا، وتنفصل عنه فيتوفى، وهي خالدة يبلى ظرفها ولا تبلى، وتسعد معه، وبدونه، وتشقى".

---

[1] تأويل مشكل القرآن (٤٨٥)
[2] مقاييس اللغة (٢/٤٥٤)
[3] العين (٣/٢٩١)

قال ابنُ تيميَّةَ: (الرُّوحُ المُدَبِّرةُ لِلبَدَنِ الَّتي تُفارِقُه بالمَوتِ هيَ الرُّوحُ المَنفوخةُ فيه، وهيَ النَّفسُ الَّتي تُفارِقُه بالمَوتِ)

وقال أيضًا: (لا اختِصاصَ لِلرُّوحِ بشَيءٍ مِنَ الجَسَدِ، بَل هيَ ساريةٌ في الجَسَدِ كَما تَسري الحَياةُ الَّتي هيَ عَرَضٌ في جَميعِ الجَسَدِ؛ فإنَّ الحَياةَ مَشروطةٌ بالرُّوحِ، فإذا كانَتِ الرُّوحُ في الجَسَدِ كانَ فيه حَياةٌ، وإذا فارَقَته الرُّوحُ فارَقَتْه الحَياةُ)

وقال أيضاً: (تُسَمَّى الرِّيحُ روحًا، وقال النَّبيُّ ﷺ: "الرِّيحُ من روحِ اللَّهِ" أي: مِنَ الرُّوحِ الَّتي خَلقَها اللَّهُ.

وقال ابنُ أبي العِزِّ: (النَّفسُ تُطلَقُ على الرُّوحِ، ولَكِنَّ غالِبَ ما يُسَمَّى نَفسًا إذا كانَت مُتَّصِلةً بالبَدَنِ، وأمَّا إذا أُخِذتْ مُجَرَّدةً فتَسميةُ الرُّوحِ أغلَبُ عليها)

ومن الأدلة قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام: ٩٣]

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ [الفجر: ٢٧ - ٢٨]

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزمر: ٤٢]

وقال النبي ﷺ: "اللهم خلقت نفسي، وأنت توفاها، لك مماتها ومحياها، إن أحييتها فاحفظها، وإن أمتها فاغفر لها، اللهم إني أسألك العافية" أخرجه مسلم

وقال ﷺ: "لما نفخ الله في آدم الروح، فبلغ الروح رأسه عطس، فقال: الحمد لله رب العالمين، فقال الله تبارك وتعالى: يرحمك الله" أخرجه ابن حبان وصححه الألباني (٢١٥٩)

وقال ﷺ: "إن الروح إذا قبض تبعه البصر" أخرجه مسلم رقم (٩٢٠)

والروح حادثة مخلوقة مدبرة، ولا خلاف بين المسلمين في ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢ ﴾ [الزُّمَر: ٦٢] فهذا العموم لا استثناء فيه، فيشمل خلق الأرواح والأجساد.

قال ابن القيم: "أجمعت الرسل على أنها محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدَبرة، هذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل"[٤]

قال ابن العز: "اتفق أهل السنة والجماعة أنها مخلوقة"

[٤] الروح (١٤٤)

ثانيا: مستقر الأرواح في البرزخ:

أ- البرزخ؛ معناه وأحكامه:

البَرزَخُ لُغةً:

البَرْزَخُ: الحاجِزُ والمانِعُ، وكلُّ حاجزٍ بيْنَ شَيئينِ فهو بَرْزَخٌ. والخاءُ فيه زائِدةٌ، كأنَّ بينهما بَرازًا، أَيْ: مُتَّسَعًا مِنَ الأرْضِ، ثُمَّ صار كُلُّ حَائِلٍ بَرْزَخًا، وقيل: أَصلُه بَرْزه، فعُرِّب

البَرزَخُ في الاصطِلاحِ:

البَرْزَخُ: مَا بَين الدُّنيا والآخِرَةِ قبْلَ الحشْرِ مِنْ وَقْتِ الموْتِ إلى القِيامَةِ.

ب- أرواحُ العِبادِ في البَرزَخِ مُتَفاوِتةٌ في مَنازِلِها:

قال اللهُ تعالى :فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ]الواقعة: ٨٣ - ٩٥[

قال ابنُ كَثيرٍ: (هَذِه الأَحوالُ الثَّلاثَةُ هيَ أحوالُ النَّاسِ عِندَ احتِضارِهم: إمَّا أن يَكونَ مِنَ المُقَرَّبينَ، أو يَكونَ مِمَّن دونَهم من أصحابِ اليمينِ، وإمَّا أن يَكونَ مِنَ المُكذِّبينَ الضَّالِّينَ عَنِ الهُدَى، الجاهلينَ بأمرِ اللَّهِ)

أولا: أرواحُ الأنبياءِ.

أرواحُ الأنبياءِ تَكونُ في خَيرِ المَنازِلِ في أعلَى عِلّيّينَ، في الرَّفيقِ الأعلَى.

عَن عائِشةَ رَضيَ اللهُ عَنها أنَّها سَمِعَتِ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يَقولُ في آخِرِ لَحَظاتِ حَياتِه)) :اللَّهُمَّ الرَّفيقَ الأعلَى ((

قال أبو العَبَّاسِ القُرطُبيُّ: (الرَّفيقُ الأعلَى يَعني به –واللَّه أعلَمُ– المَلأُ الكَريمُ مِنَ المَلائِكةِ والنَّبِيّينَ)

وقال ابنُ القَيِّمِ: (رُوحُه الكَريمةُ في الرَّفيقِ الأعلَى في أعلَى عِلّيّينَ مَعَ أرواحِ الأنبياءِ)

وقال ابنُ رَجَبٍ: (أمَّا الأنبياءُ عليهمُ السَّلامُ فلَيسَ فيهم شَكٌّ أنَّ أرواحَهم عِندَ اللَّه في أعلَى عِلّيّين، وقَد ثَبَتَ في الصَّحيحِ أنَّ آخِرَ كَلِمةٍ تَكلَّمَ بها رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عِندَ موته)) :اللَّهُمَّ الرَّفيقَ الأعلَى((، وكَرَّرَها حَتَّى قُبِضَ(

ثانيا: أرواحُ الشُّهداءِ.

وهَؤُلاءِ أحياءٌ عِندَ رَبِّهم يُرزَقون.

قال اللهُ تعالى :وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ]آل عمران: ١٦]

قال ابنُ كَثيرٍ: (يُخبِرُ تعالى عَنِ الشُّهداءِ بأنَّهم وإن قُتِلوا في هَذِه الدَّارِ فإنَّ أرواحَهم حَيَّةٌ مَرزوقةٌ في دارِ القَرارِ)

وقَد سألَ مَسروقٌ عَبدَ اللّهِ بنَ مَسعودٍ رَضيَ اللّهُ عَنه عَن هَذِه الآيةِ، فقال: إنَّا قَد سألْنا عَن ذلك، فقال)) :أرواحُهم في أجوافِ طَيرٍ خُضرٍ، لَها قَناديلُ مُعَلَّقةٌ بالعَرْشِ، تَسرَحُ مِنَ الجنَةِ حَيثُ شاءَت، ثُمَّ تأوي إلَى تِلكَ القَناديلِ((

وقال ابنُ رَجَبٍ: (أمَّا الشُّهداءُ فأكثَرُ العُلَماءِ على أنَّهم في الجنةِ، وقَد تَكاثَرَت بذلك الأحاديثُ)

وعَن عبدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ رَضيَ اللهُ عَنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم)) :الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقٍ –نَهْرٍ بِبَابِ الْجَنَّةِ– فِي قُبَّةٍ خَضْرَاءَ يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا((

قال ابنُ كَثيرٍ بَعدَ ذِكرِ هَذا الحَديثِ: (الشُّهداءُ أقسامٌ: مِنهم من تَسْرَحُ أرواحُهم في الجَنَّةِ، ومِنهم مَن يَكونُ على هَذا النَّهرِ ببابِ الجَنَّةِ، وقَد يُحتَمَلُ أن يَكونَ مُنتَهَى سَيرِهم إلَى هَذا النَّهرِ، فيَجتَمِعونَ هنالِك، ويُغْدَى عليهم برِزقِهم هناكَ ويُراحُ. واللَّهُ أعلَمُ)

وذلك النَّعيمُ لِأرواحِ بَعضِ الشُّهداءِ لا جَميعِهم؛ لِأنَّ مِنهم من تُحبَسُ رُوحُه عَن دُخولِ الجَنَّةِ لِدَينٍ عليه.

عَن مُحَمَّدِ بنِ عَبدِ اللَّهِ بنِ جَحشٍ رَضيَ اللّهُ عَنه أنَّ رَجُلًا جاءَ إلَى النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقال: يا رَسولَ اللَّهِ، ما لي إن قُتِلْتُ في سَبيلِ اللَّهِ؟ قال)) :الجَنةُ((، فلَمَّا ولَّى قال)) :إلَّا الدَّينَ، سارَّني به جِبريلُ آنِفًا((

قال ابنُ القيِّمِ: (الأرواحُ مُتَفاوِتةٌ في مُستَقَرِّها في البَرزَخِ أعظَمَ تَفاوُتٍ... ومِنها: أرواحٌ في حَواصِلِ طَيرٍ خُضْرٍ تَسرَحُ في الجَنةِ حَيثُ شاءَت، وهيَ أرواحُ بَعضِ الشُّهداءِ لا جَميعِهم، بَل مِنَ الشُّهداءِ من تُحبَسُ روحُه عَن دُخولِ الجَنَّةِ لِدَينٍ عليه أو غَيرِه،... ومِنهم: مَن يَكونُ

مَحبوسًا في قَبرِه، كَحَديثِ صاحِبِ الشَّملةِ الَّتي غَلَّها ثُمَّ استُشهِدَ، فقال النَّاسُ: هَنيئًا لَه الجَنةُ! فقال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وآلِه وسَلَّمَ)) :كَلَّا، والَّذي نَفسي بيدِه إنَّ الشَّملةَ الَّتي غَلَّها لَتشتَعِلُ عليه نارًا في قَبرِه ((

وقال ابنُ رَجَبٍ: (وإنَّما تَدخُلُ أرواحُ المُؤمِنينَ والشُّهداءِ الجَنَّةَ إذا لَم يَمنَعْ من ذلك مانِعٌ، من كَبائِرَ تَستَوجِبُ العُقوبةُ، أو حُقوقِ آدَميِّينَ، حَتَّى يَبرأَ مِنها)

ثالثا: أرواحُ المُؤمِنينَ.

وهيَ تَكونُ طُيورًا تَعْلُقُ في شَجَرِ الجَنَّةِ.

عَن عَبدِ الرَّحمَنِ بن كَعبِ بن مالِكٍ رَضيَ اللهُ عَنه عَنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنَّه قال)) :إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَيْرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَهُ اللَّهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ((فأرواحُ الشُّهداءِ في حَواصِلِ طَيرٍ خُضْرٍ تَسرَحُ مُتَنَقّلةً في رياضِ الجَنةِ، وتأوي إلَى قَناديلَ مُعَلَّقةٍ في العَرْشِ، أمَّا أرواحُ المُؤمنينَ فإنَّها طَيرٌ يُعلُقُ في شَجَرِ الجَنَّةِ ولا يَنتَقِلُ في أرجائِها.

قال ابنُ القَيِّمِ: (لا تَنافي بينَ قَولِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم)) :نَسَمةُ المُؤمِنِ طائِرٌ يَعلُقُ في شَجَرِ الجَنَّةِ((، وبينَ قَولِه)) :إنَّ أحَدَكُم إذا ماتَ عُرِضَ عليه مَقعَدُه بالغَداةِ والعَشيِّ؛ إن كانَ من أهلِ الجَنةِ فمِن أهلِ الجَنةِ، وإن كانَ من أهلِ النَّارِ، فمن أهلِ النَّارِ((، وهَذا الخِطابُ يَتَناوَلُ المَيِّتَ على فِراشِه والشَّهيدَ، كَما أنَّ قَولَه)) :نَسَمةُ المُؤمِنِ طائِرٌ يَعلُقُ في شَجَرِ الجَنَّةِ((، يَتَناوَلُ الشَّهيدَ وغَيرَه، ومَعَ كَونِه يُعرَضُ عليه مَقعَدُه بالغَداةِ والعَشِيّ تَرِدُ رُوحُه أنهارَ الجَنةِ، وتأكُلُ من ثِمارِها.

وأمَّا المَقعَدُ الخاصُّ به والبَيتُ الَّذي أُعِدَّ لَه فإنَّه إنَّما يَدخُلُه يَومَ القيامةِ، ويَدُلُّ عليه أنَّ

مَنازِلَ الشُّهداءِ ودُورَهم وقُصورَهم الَّتي أعَدَّ اللَّهُ لَهم لَيسَت هيَ تِلكَ القَناديلَ الَّتي تأوي إلَيها أرواحُهم في البَرزَخِ قَطعًا، فهم يَرَونَ مَنازِلَهم ومَقاعِدَهم مِنَ الجَنةِ، ويَكونُ مُستَقَرُّهم في تِلكَ القَناديلِ المُعَلَّقةِ بالعَرشِ، فإنَّ الدُّخولَ التَّامَّ الكامِلَ إنَّما يَكونُ يَومَ القيامةِ، ودُخولَ الأرواحِ الجَنَّةَ في البَرزخِ أمرٌ دونَ ذلك.

ونَظيرُ هَذا: أهلُ الشَّقاءِ، تُعرَضُ أرواحُهم على النَّارِ غُدُوًّا وعَشيًّا، فإذا كانَ يَومُ القيامةِ دَخلوا مَنازِلَهم ومَقاعِدَهمُ الَّتي كانوا يُعرَضونَ عليها في البَرزَخِ؛ فتَنعُّمُ الأرواحِ بالجَنةِ في البَرزَخِ شَيءٌ، وتَنعُّمُها مَعَ الأبدانِ يَومَ القيامةِ بها شَيءٌ آخَرُ، فغِذاءُ الرُّوحِ مِنَ الجَنةِ في البَرزَخِ دونَ غِذائِها مَعَ بَدنِها يَومَ البَعثِ؛ ولِهَذا قال)) :تَعْلُقُ في شَجَرِ الجَنَّةِ ((أي: تأكُلُ العُلقةَ، وأمَّا تَمامُ الأكلِ والشُّربِ واللُّبسِ والتَّمَتُّعِ فإنَّما يَكونُ إذا رُدَّتْ إلَى أجسادِها يَومَ القيامةِ، فظَهَرَ أنَّه لا يُعارِضُ هَذا القَولَ مِنَ السُّنَّةِ شَيءٌ، وإنَّما تُعاضِدُه السُّنَّةُ وتَوافُقُه....

قال ابنُ تيميَّةَ: (أرواحُ المُؤمنينَ في الجَنةِ، وإن كانَت مَعَ ذلك قَد تُعادُ إلَى البَدَنِ، كَما أنَّها تَكونُ في البَدَنِ، ويُعرَجُ بها إلَى السَّماءِ كَما في حالِ النَّومِ، أمَّا كَونُها في الجَنةِ ففيه أحاديثُ عامَّةٌ، وقَد نَصَّ على ذلك أحمَدُ وغَيرُه مِنَ العُلَماءِ، واحتَجُّوا بالأحاديثِ المأثورةِ العامَّةِ وأحاديثَ خاصَّةٍ في النَّومِ وغَيرِه)

وقال أيضًا بَعدَ أن ذَكَرَ أنَّ مُستَقَرَّ أرواحِ المُؤمِنينَ الجَنةُ: (ومَعَ ذلك فتَتَّصِلُ بالبَدَنِ مَتَى شاءَ اللَّهُ، وذلك في اللَّحظةِ بمَنزِلةِ نُزولِ المَلَكِ، وظُهورِ الشُّعاعِ في الأرضِ، وانتِباهِ النَّائِمِ)

رابعا: أرواحُ العُصاةِ.

عَن سَمُرةَ بنِ جُندُبٍ رَضِيَ اللهُ عَنه قال: كانَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مِمَّا يُكثِرُ أن يَقولَ لِأصحابِه)) :هَل رأى أحَدٌ منكم من رُؤيا؟ قال: فيَقُصُّ عليه من شاء اللَّهُ أن يَقُصَّ،

وإنَّه قال ذاتَ غَداةٍ: إنَّه أتاني اللَّيلةَ آتيانِ وإنَّهما ابتَعَثاني، وإنَّهما قالا لي: انطَلِقْ، وإنِّي انطَلَقْتُ مَعَهما، وإنَّا أتَينا على رَجُلٍ مُضطَجِعٍ، وإذا آخَرُ قائِمٌ عليه بصَخرةٍ، وإذا هو يَهوي بالصَّخرةِ لِرأسِه فيَثلَغُ رأسَه ، فيتدهدَهُ الحَجَرُ هاهنا، فيَتْبعُ الحَجَرُ فيأخُذُه، فلا يَرجِعُ إلَيه حَتَّى يَصِحَّ رأسُه كَما كانَ، ثُمَّ يَعودُ عليه فيَفعَلُ به مِثلَ ما فعل المَرَّةَ الأولَى قال: قُلتُ لَهما: سُبحانَ اللَّهِ، ما هَذانِ؟ قال: قالا لي: انطَلِقِ انطَلِقْ. قال: فانطَلَقْنا، فأتَينا على رَجُلٍ مُستَلْقٍ لِقَفَاه، وإذا آخَرُ قائِمٌ عليه بكَلُّوبٍ من حَديدٍ، وإذا هو يأتي أحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فيُشَرشِرُ شِدْقَه إلَى قَفَاه، ومَنخِرَه إلَى قَفَاه، وعَينَه إلَى قَفَاه، –قال: ورُبَّما قال أبو رَجاءٍ: فيَشُقُّ–. قال: ثُمَّ يَتحَوَّلُ إلَى الجانِبِ الآخَرِ فيَفعَلُ به مِثلَ ما فعل بالجانِبِ الأوَّلِ، فما يَفرُغُ من ذلك الجانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذلك الجانِبُ كَما كانَ، ثُمَّ يَعودُ عليه فيَفعَلُ مِثلَ ما فعل المَرَّةَ الأولَى، قال: قُلتُ: سُبْحانَ اللَّهِ، ما هَذانِ؟! قال: قالا لي: انطَلِقِ انطَلِقْ، فانطَلَقنا، فأتَينا على مِثلِ التَّنُّورِ –قال: فأحسَبُ أنَّه كانَ يَقولُ– فإذا فيه لَغَطٌ وأصَواتٌ، قال: فاطَّلَعْنا فيه، فإذا فيه رِجالٌ ونِساءٌ عُراةٌ، وإذا هم يأتيهم لَهَبٌ من أسفلَ مِنهم، فإذا أتاهم ذلك اللَّهَبُ ضَوْضَوْا ، قال: قُلتُ لَهما: ما هَؤُلاءِ؟، قال: قالا لي: انطَلِقِ انطَلِقْ، قال: فانطَلَقْنا، فأتَينا على نَهرٍ –حَسِبْتُ أنَّه كانَ يَقولُ– أحمَرَ مِثلِ الدَّمِ، وإذا في النَّهرِ رَجُلٌ سابحٌ يَسبَحُ، وإذا على شَطِّ النَّهرِ رَجُلٌ قَد جَمَعَ عِندَه حِجارةً كَثيرةً، وإذا ذلك السَّابحُ يَسبَحُ ما يَسبَحُ، ثُمَّ يأتي ذلك الَّذي قَد جَمَعَ عِندَه الحِجارةَ، فيَفغَرُ له فاه، فيُلقِمُه حَجَرًا فيَنطَلِقُ يَسبَحُ، ثُمَّ يَرجِعُ إلَيه كُلَّما رَجَعَ إلَيه فغَر لَه فاهَ فألقَمَه حَجَرًا!، قال: قُلتُ لَهما: ما هَذانِ؟، قال: قالا لي: انطَلِقِ انطَلِقْ... قال: قُلتُ لَهما: فإنِّي قَد رأيتُ مُنذُ اللَّيلةِ عَجَبًا! فما هَذا الَّذي رأيتُ؟. قال: قالا لي: أمَّا إنَّا سَنُخبرُكَ؛ أمَّا الرَّجُلُ الأوَّلُ الَّذي أتَيتَ عليه يُثلَغُ رأسُه بالحَجَرِ، فإنَّه الرَّجُلُ يأخُذُ القُرآنَ فيَرفُضُه ويَنامُ عَنِ الصَّلاةِ المكتوبةِ، وأمَّا الرَّجُلُ الَّذي أتَيتَ عليه يُشرشَرُ شِدْقُه إلَى

قفَاه، ومَنخِرُه إلَى قفَاه، وعَينُه إلَى قفَاه، فإنَّه الرَّجُلُ يَغدو من بَيتِه، فيَكذِبُ الكَذْبَةَ تَبلُغُ الآفاقَ، وأمَّا الرِّجالُ والنِّساءُ العُراةُ الَّذينَ في مِثلِ بناءِ التَّنُّورِ، فإنَّهُمُ الزُّناةُ والزَّواني، وأمَّا الرَّجُلُ الَّذي أتَيتَ عليه يَسبَحُ في النَّهرِ ويُلقَمُ الحجَرَ، فإنَّه آكِلُ الرِّبا((...

قال ابنُ حَجَرٍ: (فيه أنَّ بَعضَ العُصاةِ يُعذَّبونَ في البَرزَخِ)

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ أَوْ مَكَّةَ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم)) :يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، ثُمَّ قَالَ: بَلَى. كَانَ أَحَدُهُمَا لا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِه، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ((

خامسا: أرواحُ الكُفَّارِ.

قال ابنُ تيميَّةَ: (قَدِ استَفاضَتِ الأحاديثُ عَنِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بأنَّ الأرواحَ تُقبَضُ وتُنعَّمُ وتُعذَّبُ ويُقالُ لَها: اخرُجي أيَّتُها الرُّوحُ الطَّيِّبةُ كانَت في الجَسَدِ الطَّيِّبِ. اخرُجي أيَّتُها الرُّوحُ الخَبيثةُ كانَت في الجَسَدِ الخَبيثِ، ويُقالُ لِلأُولَى: أبشِري برَوحٍ وريحانٍ، ويُقالُ لِلثَّانيةِ: أبشِري بحَميمٍ وغَسَّاقٍ وآخَرَ مِن شَكلِه أزواجٍ، وأنَّ أرواحَ المُؤمِنينَ تَعرُجُ إلَى السَّماءِ، وأنَّ أرواحَ الكُفَّارِ لا تُفتَّحُ لَها أبوابُ السَّماءِ... قال الإمامُ أحمَدُ في رِوايةِ حَنبلٍ: أرواحُ الكُفَّارِ في النَّارِ، وأرواحُ المُؤمِنينَ في الجَنَّةِ)

وقال ابنُ بازٍ: (أمَّا أرواحُ الكُفَّارِ ففي النَّارِ، نَسألُ اللهَ العافيةَ، وقَد قال اللهُ جَلَّ وعلَا في آلِ فِرعَونَ :النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ]غافر: ٤٦[، واختَلَف أهلُ العِلمِ في مُستقَرِّها؛ فقيلَ: في نَفسِ النَّارِ. وقيلَ: في

قُبورِ أصحابِها. وقيلَ: في غَيرِ ذلك، ولَكِنَّها بكُلِّ حالٍ مُعَذَّبةٌ -نَعوذُ باللهِ- وتُعرَضُ على النَّارِ، ومَصيرُها إلَى النَّارِ. نَسألُ اللهَ العافيةَ(

مسألة: هَلِ العَذابُ في البَرزَخِ على الرُّوحِ أم على البَدَنِ أم على كِلَيهما؟

قال ابنُ تيميَّةَ: (العَذابُ والنَّعيمُ على النَّفسِ والبَدنِ جَميعًا باتِّفاقِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ؛ تُنعَّمُ النَّفسُ وتُعذَّبُ مُنفرِدةً عَنِ البَدَنِ، وتُعذَّبُ مُتَّصِلةً بالبَدَنِ، والبَدنُ مُتَّصِلٌ بها، فيَكونُ النَّعيمُ والعَذابُ عليهما في هَذِه الحالِ مُجتَمِعَينِ، كَما يَكونُ لِلرُّوحِ مُفرَدةً عَنِ البَدَنِ)

وقال ابنُ عُثَيمين: (هَذا النَّعيمُ أوِ العَذابُ: هَل هو على البَدَنِ أو على الرُّوحِ أو يَكونُ على البَدَنِ والرُّوحِ جَميعًا؟

نَقولُ: المَعروفُ عِندَ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعةِ أنَّه في الأصلِ على الرُّوحِ، والبَدنُ تابعٌ لَها، كَما أنَّ العَذابَ في الدُّنيا على البَدَنِ، والرُّوحُ مُتابِعةٌ لَه، وكَما أنَّ الأحكامَ الشَّرعيَّةَ في الدُّنيا على الظَّاهِرِ، وفي الآخِرةِ بالعَكسِ؛ ففي القَبرِ يَكونُ العَذابُ أوِ النَّعيمُ على الرُّوحِ، لَكِنَّ الجِسمَ يَتأثَّرُ بِهَذا تَبعًا، ولَيسَ على سَبيلِ الاستِقلالِ، ورُبَّما يَكونُ العَذابُ على البَدنِ والرُّوحُ تَتبَعُه، لَكِنَّ هَذا لا يَقَعُ إلَّا نادِرًا، إنَّما الأصلُ أنَّ العَذابَ على الرُّوحِ والبَدُنُ تَبعٌ، والنَّعيمَ لِلرُّوحِ والبَدنُ تَبَعُ(

الفرق بين الروح والنفس:

انظر: شرح العقيدة الطحاوية ٢/٦٠٠ مؤسسة الرسالة

إبطال دعوى التناسخ:

أصل هذه العقيدة انتقلت من الهندوسية إلى بعض الطوائف المنتسبة للإسلام، فظهرت هذه العقيدة عند بعض المتصوفة، وعند الباطنية كالنصيرية والدروز.

أولا: التناسخ عند النصيرية: تؤمن النصيرية بتناسخ الأرواح, وأن الروح عندما تفارق الجسم بالموت تتقمص ثوبا آخر, وهذا الثوب يكون على حسب إيمان هذا الشخص بدياناتهم أو كفره بها, وعلى هذا فهم يرون أن الثواب والعقاب ليسا في الجنة والنار وإنما في هذه الدنيا على حسب التراكيب والتقمصات الناسوتية والمسوخية التي تصيب الروح.

ثانياً: التناسخ عند الدروز: يعتقد الدروز بالتناسخ والتقمص، أي بانتقال النفس من جسم بشري إلى جسم بشري آخر، باعتبار أن النفس لديهم لا تموت، بل يموت قميصها (الجسم)، ويصيبه البلى، فتنتقل النفس إلى قميص آخر.

وهذا خلاف التناسخ الذي تعتقده فرق أخرى – كالنصيرية –، والذين لا ينحصر عندهم التناسخ بين الناس، بل يكون أحيانًا بينهم وبين البهائم – أي بمعنى المسخ(– وعقيدة الدروز تنكر المسخ في التناسخ إنكارًا صريحًا، وتنفيه نفيًا قاطعًا، حتى إنها استبدلت لفظة التناسخ بـ (التقمص)، لأن في انتقال النفس إلى جسم حيوان ظلم له،

وهكذا نستطيع أن نربط هذا الاعتقاد، بهذه الاعتقادات التي كانت سائدة في فارس والهند واليونان

ولا شك في بطلان هذه العقيدة الفاسدة الكفرية التي أصلها كما سبق الديانات السابقة من هندوسية وبوذية، وأما معتقدو هذه العقائد فهم كفار خارجون عن دائرة الإسلام.

إبطال دعوى تحضير الأرواح:

شاعَ بَينَ كثيرٍ مِنَ النَّاسِ ما يُسَمَّى بعِلمِ تَحضيرِ الأرواحِ، وهوَ يَعني: استِدعاءَ الأرواحِ من عالَمِها طَوعًا أو كَرْهًا عَبرَ وسيطٍ وبِشُروطٍ مُعَيَّنةٍ وفي أجواءٍ خاصَّةٍ وبِطُرُقٍ مُتَعَدِّدةٍ يَنتُجُ عَنها الاتِّصالُ بعالَمِ الأرواحِ وإحداثُ ظَواهِرَ رُوحيَّةٍ خارِقةٍ، مِثلِ الإخبارِ بأمورٍ ماضيةٍ، أوِ التَّنَبُّؤِ بأمورٍ مُستَقبَليَّةٍ، وغَيرِ ذلك

علاقة الجن بتحضير الأرواح:

إنَّ المُستَدعَى مِنَ الأرواحِ في الحَقيقةِ والمُحْضَرَ في كُلِّ وقتٍ هم قُرناءُ الأمواتِ مِنَ الجِنِّ، أو هم مِنَ الشَّياطينِ العابِرةِ، فيَحضُرونَ ويُمَثِّلونَ ما يَجري في تِلكَ الجَلَساتِ الرُّوحيَّةِ، وبِواسِطَتِهم تَقَعُ الظَّواهِرُ الرُّوحيَّةُ

وقد كانَتِ الشَّياطينُ تَنزِلُ على الكَهَنةِ فتُخبِرُهم بالكَلِمةِ مِنَ الحَقِّ، فيَكذِبونَ مَعَها مِائةَ كَذْبةٍ. وثَبَتَ أنَّ من صِفاتِ الجِنِّ القُدرةَ على التَّشَكُّلِ في صوَرٍ مُختَلِفةٍ.

وثَبَتَ وُجودُهم واتِّصالُهم ببَني آدَمَ اتِّصالًا وثيقًا، وأنَّهم يَعيشونَ مَعَهم على الأرضِ، وأحيانًا يَدخُلونَ في أجسامِهم ويَتَسَلَّطونَ عليهم.

وتَكليمُ الجِنِّيِّ للإنسانِ على لسانِ إنسانٍ آخَرَ أمرٌ ثابِتٌ، وتَحريكُ الجِنِّيِّ لقَلَمٍ فيَكتُبُ أو يَرسُمُ، أو تَحريكُه أثاثَ حُجْرةٍ وغَيرَ ذلك أمرٌ مُمكِنٌ وواقِعٌ، وعليهِ فما يَزعُمُه دُعاةُ استِحضارِ الأرواحِ نَوعٌ من عَبَثِ الجِنِّ بالبَشَرِ. واللَّهُ أعلَمُ

حكم تحضير الأرواح:

إنَّ شَأنَ الرُّوحِ مِنَ الأمورِ الغَيبيَّةِ الَّتي اختَصَّ اللهُ سُبْحانَه وتعالى بعِلمِها، فلا يَصِحُّ الخَوضُ فيها إلَّا بدَليلٍ شَرعيٍّ.

قال ابنُ القَيِّمِ: (قد دَلَّ على التِقاءِ أرواحِ الأحياءِ والأمواتِ أنَّ الحَيَّ يرى الميِّتَ في مَنامِه فيَستَخبِرُه ويُخبِرُه الميّتُ بما لا يَعلَمُ الحَيُّ، فيُصادِفُ خَبرَه كما أخبَرَ!)

وقال ابن باز: (أرواحُ الأمواتِ باقيةٌ إلى ما شاءَ اللهُ وتَسمَعُ، ولَكِنْ لَم يَثبُت أنَّها تَتَّصِلُ بالأحياءِ في غَيرِ المَنامِ. كما أنَّه لا صِحَّةَ لما يَدَّعيهِ المُشَعْوذونَ من قُدرَتِهم على تَحضيرِ أرواحِ مَن يَشاؤونَ مِنَ الأمواتِ ويُكلِّمونَها ويَسألونَها، فهذه ادِّعاءاتٌ باطِلةٌ لَيسَ لَها ما يُؤَيِّدُها مِنَ النَّقلِ، ولا مِنَ العَقلِ، بَل إنَّ اللهَ سُبْحانَه وتعالى هوَ العالِمُ بهذه الأرواحِ، والمُتَصَرِّفُ فيها، وهوَ القادِرُ على رَدِّها إلى أجسامِها مَتى شاءَ ذلك، فهوَ المُتَصَرِّفُ وحدَه في مُلكِه وخَلقِه، لا يُنازِعُه مُنازِعٌ، أمَّا من يَدَّعي غَيرَ ذلك فهوَ يَدَّعي ما لَيسَ لَه بِهِ عِلمٌ، ويَكذِبُ على النَّاسِ فيما يُروِّجُه من أخبارِ الأرواحِ؛ إمَّا لكَسْبِ مالٍ، أو لإثباتِ قُدرَتِه على ما لا يَقدِرُ عليهِ غَيرُه، أو للتَّلبيسِ على النَّاسِ لإفسادِ الدِّين والعَقيدةِ.

وما يَدَّعيهِ هَؤُلاءِ الدَّجَّالونَ من تَحضيرِ الأرواحِ إنَّما هيَ أرواحُ شياطينَ يَخدِمُها بعِبادَتِها وتَحقيقِ مَطالِبِها، وتَخدِمُه بما يَطلُبُ مِنها كذِبًا وزُورًا في انتِحالِها أسماءَ مَن يَدَّعونَه مِنَ الأمواتِ، كما قال اللهُ تعالى :وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ]الأنعام:١١٢-١١٣[

وقال تعالى :وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ]الأنعام:١٢٨ [

وذَكَرَ عُلَماءُ التَّفسيرِ أنَّ استِمتاعَ الجِنِّ بالإنسِ بعِبادَتِهم إيَّاهم بالذَّبائحِ والنُّذورِ والدُّعاءِ، وأنَّ استِمتاعَ الإنسِ بالجِنِّ قَضاءُ حَوائِجِهم الَّتي يَطلُبونَها مِنهم، وإخبارُهم ببَعضِ المُغَيَّباتِ الَّتي يَطَّلِعُ عليها الجِنُّ في بَعضِ الجِهاتِ النَّائيةِ، أو يَستَرِقونَها مِنَ السَّمعِ، أو يَكذِبونَه وهوَ الأكثَرُ، ولَو فرَضْنا أنَّ هَؤُلاءِ الإنسَ لا يَتَقَرَّبونَ إلى الأرواحِ الَّتي يَستَحضِرونَها بشَيءٍ مِنَ العِبادةِ، فإنَّ ذلك لا يوجِبُ حِلَّ ذلك وإباحَتَه؛ لأنَّ سُؤالَ الشَّياطينِ والعَرَّافينَ والكَهَنةِ والمُنجِّمينَ مَمنوعٌ شَرعًا، وتَصديقُهم فيما يُخبِرونَ بِهِ أعظَمُ تَحريمًا وأكبَرُ إثمًا، بَل هوَ من شُعَبِ الكُفْرِ؛ لقَولِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم)) :من أتى عَرَّافًا فسَأَلَه عَن شَيءٍ، لَم تُقبَلْ لَه صَلاةٌ أربَعينَ لَيلةً ((

وقد جاءَ في هَذا المَعنى أحاديثُ وآثارٌ كثيرةٌ، ولا شَكَّ أنَّ هذه الأرواحَ الَّتي يَستَحضِرونَها بزَعمِهم داخِلةٌ فيما مَنعَ مِنه النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؛ لأنَّها من جِنسِ الأرواحِ الَّتي تَقتَرِنُ بالكُهَّانِ والعَرَّافِينَ من أصنافِ الشَّياطينِ، فيَكونُ لَها حُكمُها، فلا يَجوزُ سُؤالُها ولا استِحضارُها ولا تَصديقُها، بَل كُلُّ ذلك مُحَرَّمٌ ومُنكَرٌ بَل وباطِلٌ؛ لِما سَمِعتَ مِنَ الأحاديثِ والآثارِ في ذلك، ولِأنَّ ما يَنقُلونَه عَن هذه الأرواحِ يُعتَبَرُ من عِلمِ الغَيبِ، وقد قال اللهُ سُبْحانَه :قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ]النَّملِ: ٦٥[

وقد تَكونُ هذه الأرواحُ هيَ الشَّياطينَ المُقتَرِنةَ بالأمواتِ الَّذينَ طَلَبوا أرواحَهم، فتُخبِرُ بما تَعلَمُه من حالِ المَيِّتِ في حَياتِهِ مُدَّعِيةً أنَّها رُوحُ المَيِّتِ الَّذي كانَت مُقتَرِنةً بِهِ، فلا يَجوزُ

تَصديقُها ولا استِحضارُها ولا سُؤالُها كما تَقدَّمَ الدَّليلُ على ذلك، وما يُحَضِّرُه لَيسَ إلَّا الشَّياطينَ والجِنَّ يَستَخدِمُهم مُقابِلَ ما يَتَقَرَّبُ بهِ إليهم مِنَ العِبادةِ الَّتي لا يَجوزُ صَرفُها لغَيرِ اللَّهِ، فيَصِلُ بذلك إلى حَدِّ الشِّركِ الأكبَرِ الَّذي يُخرِجُ صاحِبَه مِنَ المِلَّةِ)

وقال ابنُ عُثَيمين: (هَذا التَّحضيرُ لأرواحِ المَوتى لا يَصِحُّ ولا يُمكِنُ أن يَكونَ ثابِتًا، وإذا قدِّرَ أنَّ أحَدًا زَعَمَ أنَّه حَضَّرَ رُوحَ فُلانٍ وخاطَبَها وخاطَبَتْه فإنَّ هَذا شَيطانٌ يُخاطِبُه بصَوتِ ذلك المَيِّتِ؛ فإنَّ الأرواحَ بَعدَ المَوتِ مَحفوظةٌ، كما قال اللهُ تعالى :وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ، أي: لا يُفرِّطونَ في حِفظِ هذه الرُّوحِ، ثُمَّ إنَّ الأرواحَ تَكونُ بَعدَ المَوتِ في مَقَرِّها، ولا يُمكِنُ أن تَحضُرَ إلى الدُّنيا بأيِّ حالٍ مِنَ الأحوالِ. وتَعاطي مِثلِ هَذا العَمَلِ مُحَرَّمٌ؛ لِما فيه مِنَ الكَذِبِ والدَّجَلِ وغِشِّ النَّاسِ وأكلِ المالِ بالباطِلِ؛ فالواجِبُ الحَذَرُ مِنه والتَّحذيرُ أيضًا؛ لِما فيه مِنَ المَفاسِدِ الكَثيرةِ العَظيمةِ)

النصوص الشرعية الواردة في فتنة القبر وعذابه ونعيمه والرد على من أنكره.

قال اللهُ تعالى :يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ]إبراهيم: ٢٧ [

أي: يثبِّتُ اللهُ المُؤمِنينَ بالقَولِ الصَّادقِ الحَقِّ، الذي ثبَتَ في قُلوبِهم، وتمكَّنَ فيها، واطمأنَّتْ إليه نفوسُهم –وهو شَهادةُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ مُحمَّدًا رَسولُ اللهِ– فيُثَبِّتُهم اللهُ في حياتِهم الدُّنيا على إيمانِهم باللهِ تعالى وبرَسولِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ويُسلِّمُهم من الشَّهَواتِ والشُّبُهاتِ، ويُثَبِّتُهم أيضًا في قُبورِهم عندَ سؤالِ المَلَكينِ((

أدلة عذاب القبر ونعيمه:

قال شيخ الإسلام ابنُ تيميَّةَ رحمه الله: (أمَّا أحاديثُ عَذابِ القَبرِ ومَسألةُ مُنكَرٍ ونَكيرٍ فكثيرةٌ مُتواتِرةٌ عَنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم)

وقال الطَّحاويُّ رحمه الله: (نُؤمِنُ بمَلَكِ المَوتِ الموكَّلِ بقَبضِ أرواحِ العالَمينَ، وبعَذابِ القَبرِ لِمَن كانَ له أهلًا، وسُؤالِ مُنكَرٍ ونَكيرٍ في قَبرِه عَن رَبِّه ودينِه ونَبيِّه، على ما جاءَت به الأخبارُ عَن رَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وعَنِ الصَّحابةِ رِضوانُ اللَّهِ عليهم)

وقال ابن أبي العز: (اعلَمْ أنَّ عذابَ القَبرِ هو عَذابُ البَرزَخِ، فكُلُّ مَن مات وهو مُستَحِقٌّ لِلعَذاب نالَه نَصيبُه مِنه، قُبِرَ أو لَم يُقبَرْ، أكَلَته السِّباعُ أوِ احترَقَ حَتَّى صارَ رَمادًا ونُسِف في الهَواءِ، أو صُلِبَ أو غرِقَ في البَحرِ، وصَلَ إلَى رُوحِه وبَدَنِه مِنَ

العَذابِ ما يَصِلُ إلَى المَقبورِ، وما ورَدَ من إجلاسِه، واختِلافِ أضلاعِه ونَحوِ ذلك، فيَجِبُ أن يُفهَمَ عَنِ الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مُرادُه من غيرِ غُلُوٍّ ولا تقصيرٍ)

وقال الشيخ حافِظٌ الحَكَميُّ: (إثباتُ سُؤالِ القَبرِ وفتْنَتِه وعَذابِه ونَعيمِه، وقَد تَظاهَرَت بذلك نُصوصُ الشَّريعةِ كِتابًا وسُنَّةً، وأجمَعَ على ذلك أئِمَّةُ السُّنَّةِ مِنَ الصَّحابةِ والتَّابعينَ فمَن بَعدَهم من أهلِ السُّنَّةِ والجَماعةِ)

وقد ورَدَت إشاراتٌ في القُرآنِ تَدُلُّ على عذابِ القَبرِ. ونعيمه:

أولا: قال اللهُ تعالى :وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ]التوبة: ١٠١]

أي: سَنُعذِّبُ هَؤُلاءِ الَّذينَ مَرَدوا على النِّفاقِ، في الدُّنيا وفي القَبرِ، ثُمَّ يُرَدُّ هَؤُلاءِ المُنافِقونَ بَعدَ تَعذيبِهم مَرَّتينَ إلَى عَذابٍ عَظيمٍ في نارِ جَهَنَّمَ

قال الحَسَنُ البَصريُّ وقَتادةُ وابنُ جُرَيجٍ في قَولِ اللهِ تعالى :سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ]التوبة: ١٠١) :[عذابَ الدُّنيا، وعذابَ القَبْرِ(

ثانيا: قال اللهُ سُبحانَه :وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ]غافر: ٤٥-٤٦[

قال القُرطُبيُّ: (الجُمْهورُ على أنَّ هَذا العَرْضَ في البَرزَخِ، احتَجَّ بَعضُ أهْلِ العِلمِ في تَثبيتِ عَذابِ القَبرِ بقَولِه :النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ما دامَتِ الدُّنيا. كَذلك قال مُجاهِدٌ وعِكْرِمةُ ومُقاتِلٌ ومُحَمَّدُ بنُ كَعبٍ كُلُّهم. قال: هَذِه الآيةُ تَدُلُّ على عَذابِ

القَبرِ في الدُّنْيا، ألا تَراه يَقولُ عَن عَذابِ الآخِرةِ :وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذابِ؟ (

وقال ابنُ كثيرٍ: (هذه الآيةُ أصلٌ كبيرٌ في استدلالِ أهلِ السُّنَّةِ على عذابِ البَرْزَخِ في القُبورِ، وهي قَولُه :النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا(

ثالثا: قال اللهُ عزَّ وجلَّ :وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمَى]طه: ١٢٤[

قال ابنُ جَريرٍ بَعْدَ ذِكرِ الأقوالِ في الآيةِ: (أَولَى الأقوالِ في ذلك بالصَّوابِ قَولُ مَن قال: هو عَذابُ القَبرِ... إنَّ اللَّهَ تَبارك وتعالى أتبَعَ ذلك بقَولِه :وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى]طه: ١٢٧ [فكانَ مَعلومًا بذلك أنَّ المَعيشةَ الضَّنْكَ الَّتي جَعلها اللَّهُ لَهم قَبلَ عَذَابِ الآخِرةِ؛ لِأنَّ ذلك لَو كانَ في الآخِرةِ لَم يَكُنْ لِقَولِه :وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى]طه: ١٢٧ [مَعنًى مَفهومٌ؛ لِأنَّ ذلك إن لَم يَكُنْ تَقَدَّمَه عذابٌ لَهم قَبلَ الآخِرةِ، حَتَّى يَكونَ الَّذي في الآخِرةِ أشَدَّ مِنه، بَطَلَ مَعنى قَولِه :وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى]طه: ١٢٧ [فإذ كانَ ذلك كَذلك، فلا تَخلو تِلكَ المَعيشةُ الضَّنْكَ الَّتي جَعلها اللَّهُ لَهم من أن تَكونَ لَهم في حَياتِهمُ الدُّنيا، أو في قُبورِهم قَبلَ البَعثِ؛ إذ كانَ لا وجْهَ لِأن تَكونَ في الآخِرةِ لِما قَد بَيَّنَّا، فإن كانَت لَهم في حَياتِهمُ الدُّنيا، فقَد يَجِبُ أن يَكونَ كُلُّ مَن أعرَضَ عَن ذِكرِ اللَّهِ مِنَ الكُفَّارِ، فإنَّ مَعيشَتَه فيها ضَنْكٌ، وفي وُجودِنا كَثيرًا مِنهم أوسَعَ مَعيشةً من كَثيرٍ من المُقْبِلينَ على ذِكرِ اللَّهِ تَبارك وتعالى، القانِتينَ لَه المُؤمِنينَ؛ في ذلك ما يَدُلُّ على أنَّ ذلك لَيسَ كَذلك، وإذ خَلَا القَولُ في ذلك من هَذينِ الوجهينِ صَحَّ الوَجهُ الثَّالِثُ، وهو أنَّ ذلك في البَرزَخِ(

رابعا: قال اللهُ تعالى :وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ]السجدة: ٢١[

خامسا: قال اللهُ سُبحانَه :يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ]إبراهيم: ٢٧ [

عَنِ البراءِ بن عازِبٍ رَضيَ اللهُ عَنهما عَنِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال)) :إذا أُقعِدَ المُؤمِنُ في قَبرِه أُتِيَ ثُمَّ شَهِدَ أنْ لا إلهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، فذلك قَولُه :يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ]إبراهيم: ٢٧ [

سادسا: قَولُ اللهِ تعالى :إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ]فصلت: ٣٠[

قال وكيعُ بنُ الجَرَّاحِ: (البُشرَى تَكونُ في ثَلاثةِ مَواطِنَ: عِندَ المَوتِ، وفي القَبرِ، وعِندَ البَعثِ)

وقال أبو العاليةِ الرِّياحيُّ: (يُبَشَّرُ المُؤمِنُ في ثَلاثةِ مَواطِنَ: عِندَ دُخولِ القَبرِ، وعِندَ البَعثِ، وعِندَ دُخولِه الجَنَةِ)

ومن أدلة السنة النبوية في إثبات عذاب القبر ونعيمه:

أولا: عَن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عَنها قالت: دَخَلَتْ عليَّ عَجُوزانِ من عُجُزِ يَهودِ المَدينةِ، فقالَتَا: إنَّ أهْلَ القُبورِ يُعَذَّبونَ في قُبورِهم، قالت: فكَذَّبْتُهما، ولَم أنعَمْ أنْ أُصَدِّقَهما، فخَرَجَتا، ودَخلَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقُلتُ لَه: يا رَسولَ اللَّهِ إنَّ عَجُوزينِ من عُجُزِ يَهودِ المَدينةِ دَخَلَتا عليَّ، فزَعَمَتا أنَّ أهلَ القُبورِ يُعذَّبونَ في

قُبورِهم، فقال)) :صَدَقَتا، إنَّهم يُعذَّبونَ عَذابًا تَسمَعُه البَهائِمُ" قالت: فما رأيتُه بَعدُ في صَلاةٍ إلَّا يَتعَوَّذُ من عَذابِ القَبرِ((

ثانيا: عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عنه عَنِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ)) :مَلأَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا كَمَا شَغَلُونَا عَنْ صَلَاةِ الْوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ((

ثالثا: عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ)) :اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ((

رابعا: عَن أُمِّ خالِدٍ بنتِ خالِدٍ قالت)) :سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يَتعَوَّذُ من عَذابِ القَبرِ ((

قال القَسطَلَّانيُّ: (فيه إثباتُ عَذابِ القَبرِ؛ فالإيمانُ به واجِبٌ)

خامسا: حديث البراءِ بن عازِبٍ رَضيَ اللهُ عَنهما وفيه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال في المُؤمِنِ إذا أجابَ المَلَكينِ في قَبرِه)) :يُنادي مُنادٍ مِنَ السَّماءِ: أنْ صَدَقَ عَبدي، فأفرِشوه مِنَ الجَنةِ، وألبِسوه مِنَ الجَنةِ، وافتَحوا لَه بابًا إلَى الجَنةِ، قال: فيأتيه من رَوحِها وطَيبِها، ويُفسَحُ له في قَبرِه مَدَّ بَصَرِه، قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ. فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؛ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ؟! فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ. فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمْ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي((

سادسا: عَنِ ابنِ عُمرَ رَضِيَ اللهُ عَنهما أنَّ الرَّسولَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال)) :إنَّ أحَدَكُم إذا ماتَ عُرِضَ عليه مَقعَدُه بالغَداةِ والعَشِيِّ، إن كانَ من أهلِ الجَنَّةِ فمن أهلِ الجَنةِ، وإن كانَ من أهلِ النَّارِ فمن أهلِ النَّارِ، فيُقالُ: هَذا مَقعَدُكَ حتَّى يبعَثَكَ اللَّه يَومُ القيامةِ((

رابعا: حكم إهداء ثواب الأعمال إلى الأموات.

اختلف أهلُ العِلْمِ في حكمِ إهداءِ ثوابِ القُرُباتِ للمَيّت على قولينِ:

القول الأول :

يجوزُ إهداءُ ثوابِ القرباتِ إلى الميِّت؛ كقراءةِ القُرآنِ، وهو مذهبُ الحَنفيَّة، والحَنابِلَة، وقولُ بعض الشَّافعيَّة، واختاره ابنُ تيميَّة، والصنعانيُّ

الأدلَّة:

أوَّلًا: ما جاء من أدلة السنة في الدلالة على ذلك كحديث بُريدَةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال)) :بينا أنا جالِسٌ عند رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم، إذْ أَتَتْه امرأةٌ، فقالت: إنِّي تصدَّقْتُ على أمِّي بجاريةٍ، وإنَّها ماتَتْ، قال: فقال: وَجَبَ أجْرُكِ، ورَدَّها عليكِ الميراثُ. قالت: يا رسولَ الله، إنَّه كان عليها صَوْمُ شَهْرٍ، أفأصومُ عنها؟ قال: صُومي عنها. قالت: إنَّها لم تَحُجَّ قطُّ، أفأحُجُّ عنها؟ قال: حُجِّي عنها ((

وَجهُ الدَّلالةِ:

أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم نبَّهَ بوصولِ ثَوابِ الصَّوْم– الذي هو مُجَرَّد ترْكٍ وَنيَّةٍ تقوم بِالقلبِ لا يَطَّلِع عليه إِلَّا اللهُ، وَلَيْسَ بِعَمَل الجوارِح– على وُصولِ ثوابِ القراءَة الَّتِي هِيَ عَمَلٌ بِاللِّسَانِ بطرِيق الأَوْلى، وكذا وُصُول ثَوَابِ سَائِر العباداتِ البدنِيَّةِ((

ثانيًا: أنَّ الثَّوَابَ حقٌّ لِلعامِلِ؛ فإذا وَهَبَه لِأَخِيهِ المُسلِم لم يُمنَع من ذَلِك؛ كَمَا لم يُمْنَع مِن هِبَةِ مَاله فِي حيَاته، وإبرائِه لَه مِن بعدِ مَوته

القول الثاني :لا يُشْرَع إهداءُ ثوابِ القُرُباتِ إلى الميِّتِ، وهو مذهَبُ المالكيَّة، والمشهورُ من مَذهَب الشَّافعيَّة، وهو قولُ ابن باز

الأدلَّة:

أوَّلًا: ما ورد من أدلة القرآن الكريم منها قول الله تعالى :وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى]النجم: ٣٩[

ثانيًا: من السُّنَّة حديث أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، قال)) :إذا مات الإنسانُ انقطَعَ عنه عمَلُه إلَّا من ثلاثةٍ: إلَّا مِن صَدَقَةٍ جاريةٍ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَع به، أو وَلَدٍ صالِحٍ يدعو له ((

وَجهُ الدَّلالةِ:

أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم أخبَرَ أنَّه إِنَّما يَنتَفِعُ بما كانَ تسبَّبَ إليه فِي الحياةِ، وما لم يكُنْ قد تسبَّبَ إليه، فَهُوَ مُنقَطِعٌ عَنهُ

ثالثًا: أنَّ الإهداءَ حِوالَة، وَالحِوالَةُ إِنَّمَا تكون بِحَقٍّ لازِمٍ، والأعمالُ لا توجِبُ الثَّوَاب، وإنَّما هو مُجرَّدُ تفضُّلِ اللهِ وإحسانِه

رابعًا: أنَّ الإيثارَ بِأسبابِ الثَّوابِ مَكروهٌ، وهوَ الإيثارُ بِالقُرَبِ؛ فَكيف الإيثارُ بِنَفس الثَّوابِ؟ فهو أَوْلى بالكراهَةِ

خامسًا: أنَّه لو ساغَ الإهداءُ إلى الميِّت، لساغَ نَقْلُ الثَّوَابِ، والإهداءُ إلى الحيِّ

والراجح ألا يتوسع في هذا الباب ويكتفى بما دلت الأدلة على جوازه

ويشترط أن يكون العمل خالصا لا حظ فيه لابتغاء شيء دنيوي

خامسا: أهم أشراط الساعة الصغرى والكبرى مع الأدلة

تَمهيدٌ:

أخفى اللهُ تعالى عِلمَ السَّاعةِ، فلا يَعلَمُ أحَدٌ وقتَ وُقوعِها إلَّا اللهُ عزَّ وجَلَّ.

قال اللهُ تعالى :إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [لقمان: ٣٤]

قال الألوسيُّ: (أمرُ السَّاعةِ أخفى الأُمورِ المَذكورةِ... ما أطلَعَ اللهُ تعالى عليه نَبيَّه مِن وقتِ قيامِها في غايةِ الإجمالِ، وإن كانَ أتَمَّ مِن عِلمِ غَيرِه مِنَ البَشَرِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وقَولُه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ)) :بُعِثْتُ أنا والسَّاعةُ كَهاتينِ ((لا يَدُلُّ على أكثَرَ مِنَ العِلمِ الإجماليّ بوقتِها(

وقال في بَيانِ الحِكْمةِ مِن إخفاءِ وقتِ قيامِ السَّاعةِ: (وإنَّما أخفى سُبحانَه أمرَ السَّاعةِ لِاقتِضاءِ الحِكمةِ التَّشريعيَّةِ ذلك؛ فإنَّه أدعَى إلَى الطَّاعةِ، وأزجَرُ عَنِ المَعصيةِ، كَما أنَّ إخفاءَ الأجَلِ الخاصّ لِلإنسانِ كَذلك).

تعريف الأشراط لغة: العَلاماتُ[٥].

تعريف الأشراط اصطلاحا: هيَ العَلاماتُ الَّتي تَسبِقُ يَومَ القيامةِ، وتَدُلُّ على قُدومِها.

[٥] ينظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٢٦٠)، و((تاج العروس)) للزبيدي (١٩/٤٠٥).

أهمية معرفة علامات الساعة:

إنَّه مِن رَحمةِ اللهِ تَبارَكَ وتعالى أنْ أطلَعَ عِبادَه على ما سَيَقَعُ بينَ يَدَي السَّاعةِ مِن أمورٍ وأحوالٍ وأهوالٍ هيَ بمَثابةِ عَلاماتٍ تَدُلُّنا على قُربِ وُقوعِ السَّاعةِ. وفي ذلك تحذيرٌ مِنَ اللهِ تعالى لِعِبادِه عَنِ الغَفلةِ والرُّكونِ إلَى المُلهِيَاتِ، وحَثٌّ لَهم على المُبادَرةِ إلَى التَّوبةِ وعَمَلِ الصَّالِحاتِ، وبشارةٌ وتَثبيتٌ لِلمُؤمِنينَ المُداوِمينَ على الطَّاعاتِ. وقَد كانَ اهتِمامُ النَّبِيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بهَذا الأمرِ اهتِمامًا بالِغًا جِدًّا، وهَذا مِن شَفقَتِه ورأفتِه ورَحمَتِه بأمَّتِه.

ومن دلالات أشراط الساعة:

١- الدلالة على صِدْقِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم.

٢- الدلالة على أنَّ السَّاعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها؛ لِأنَّ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أخبرَ بحُدوثِ هَذِه الأمورِ، وحُدوثُها حَصَلَ وكانَ حَقًّا كما أخبرَ به صلَّى اللهُ عليه وسلَّم.

كَما قامَ بَعضُهم بوضعِ مُصَنَّفاتٍ خاصَّةٍ بأشراطِ السَّاعةِ. ومِن ذلك على سَبيلِ المِثالِ:

١- كِتابُ الفتَنِ لِنعيم بن حَمَّادٍ.

٢- التَّذكِرةُ لِلقُرطُبِيّ.

٣- النِّهايةُ في الفتَنِ والمَلاحِمِ لِابنِ كَثيرٍ.

٤- إتحافُ الجَماعةِ بما جاءَ في الفتَنِ والمَلاحِمِ وأشراطِ السَّاعةِ لِحُمُود التُّويجريّ.

٥- أشراطُ السَّاعةِ للوابلِ.

علامات الساعة الصغرى:

بَعثةُ النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم. - مَوتُ النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم. - انشِقاقُ القَمَرِ. - طاعونُ عَمْواس. - نارُ الحِجازِ الَّتي أضاءَت أعناقَ الإبلِ ببُصرَى. - خُروجُ الدَّجَّالينَ أدعياءِ النُّبوَّةِ. - ظُهورُ الفتَنِ. - تَعظيمُ النَّاسِ لكِتابٍ غَيرِ كِتابِ الله. - ظُهورُ القَلَمِ وفُشُوُّه. - قَبضُ العِلمِ وظُهورُ الجَهْلِ. - التِماسُ العِلمِ عِندَ الأصاغِرِ. - نُقصانُ العَمَلِ. - التَّباهي بالمساجِدِ. - دُروسُ الإسلامِ ورَفعُ القُرآنِ وفَناءُ الأخيارِ. - عَودةُ البَشَريَّةِ إلى الجاهِليَّةِ وعِبادةِ الأوثانِ. - تَوَقُّفُ الجِزيَةِ والخَراجِ. - اتِّباعُ سُنَنِ الأمَمِ الْماضيةِ. - ولادَةُ الأمَةِ رَبَّتَها. - تَطاوُلُ الحُفاةِ العُراةِ رُعاةِ الشَّاةِ في البُنيانِ. - هَيمَنةُ الأشرارِ وتَحقيرُ الأخيارِ. - إسنادُ الأمرِ إلى غَيرِ أهلِه. - استِفاضةُ الْمالِ. - تَقارُبُ الأسواقِ. - فُشُوُّ التِّجارةِ حَتَّى تُعينَ الْمَرأةُ زَوجَها على التِّجارةِ. - انتِشارُ الرِّبا. - إلقاءُ الشُّحِّ. - كثرةُ الكَذِبِ. - كثرةُ شَهادةِ الزُّورِ وكِتْمان شَهادةِ الحَقّ. - كثرةُ النِّساءِ وقِلَّةُ الرِّجالِ. - ظُهورُ الفُحشِ والتَّفَحُّشِ. - فُشُوُّ الزِّنا وكَثرَتُه. - شُربُ الخَمرِ. - كثرةُ الزَّلازِلِ. - وُقوعُ التَّناكُرِ بينَ النَّاسِ. - سُوءُ الجِوارِ. - تَسليمُ الخاصَّةِ ولا يُسَلِّمُ الرَّجُلُ إلَّا على مَن يَعرِفُ. - قَطْعُ الأرحامِ. - صِدْقُ رُؤيا الْمُؤمِنِ. - تَقارُبُ الزَّمَنِ. - تَكليمُ

السِّباعِ والجَمادِ الإنْسَ. - انحِسارُ الفُرَاتِ عَن جَبَلٍ من ذَهَبٍ. - إخراجُ الأرضِ كُنوزَها الْمَخبوءةَ. - عَودةُ جَزيرةِ العَرَبِ جَناتٍ وأنهارًا. - خُروجُ رَجُلٍ من قَحْطانَ يَسوقُ النَّاسَ بعَصاه. - ظُهورُ الْمَهديّ. - الفُتوحاتُ والحُروبُ. - هلاكُ قُرَيشٍ.

بَعثةُ النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم.

عَن سَهلِ بنِ سعدٍ الساعديِّ رضي اللهُ عنْهُما قال: قال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم)) :بُعِثْتُ أنا والسَّاعةُ هَكَذا ((، ويُشيرُ بإصبَعَيه، فيَمُدُّ بهما وعَن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنه قال: قال رَسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم)) :بُعِثْتُ أنا والسَّاعةُ كَهاتينِ((، قال: وضَمَّ السَّبَّابةَ والوُسطَى

قال الضَّحاكُ: (أوَّلُ أشراطِها بَعثةُ مُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم)

مَوتُ النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم.

عَن عَوفِ بن مالِكٍ رَضيَ اللهُ عَنه قال: قال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم)) :اعْدُدْ سِتًّا بينَ يَدَي السَّاعةِ: موتي ((٦

انشِقاقُ القَمَرِ.

قال اللهُ تعالى :اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ]القمر: ١-٢[

٦ أخرجه البخاري ٣١٧٦

وعَن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنه قال)) :سأَلَ أهْلُ مَكَّةَ أن يُرِيَهم آيةً، فأراهمُ انشِقاقَ القَمَرِ ((

وعَن عَبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رضي اللهُ عنه قال)) :بينَما نَحنُ مَعَ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بمِنًى إذِ انفلَقَ القَمَرُ فَلْقَتينِ، فكانَت فَلقةٌ وراءَ الجَبَلِ وفَلْقةٌ دونَه، فقال لَنا رَسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: اشهَدوا ((وفي رِوايةٍ)) :فسَتَرَ الجَبَلُ فَلقةً، وكانَت فَلقةٌ فوقَ الجَبَلِ((

وقَدِ اتَّفقَ العُلَماءُ على أنَّ القَمَرَ قَدِ انشَقَّ في عَهدِ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وأنَّ انشِقاقَه إحدَى المُعْجِزاتِ الباهرةِ.

قال القسطلانيُّ: (انشِقاقُ القَمَرِ مِن أمَّهاتِ المُعجِزاتِ، وأجمَعَ عليه المُفسِّرونَ وأهلُ السُّنَّةِ، ورُوِيَ عَن جَماعةٍ كَثيرةٍ مِنَ الصَّحابةِ)

طاعونُ عَمْواس.

عَن عَوفِ بن مالِكٍ رَضيَ اللهُ عَنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال)) :اعْدُدْ سِتًّا بينَ يَدَيِ السَّاعةِ ((فذَكَرَ مِنها)) :ثُمَّ مَوتانٌ يأخُذُ فيكم كَقُعاصِ الغَنَمِ ((٧

قال ابنُ كَثيرٍ: (دَخَلَت سَنَةُ ثَماني عَشرة. المَشهورُ الَّذي عليه الجُمهورُ أنَّ طاعونَ عَمْواس كانَ بها، وقَد تَبَّعْنا قَولَ سَيفِ بنِ عُمرَ، وابنِ جَريرٍ في إيرادِه ذلك في السَّنةِ الَّتي قَبلَها، لَكِنَّا نَذكُرُ وفاةَ مَن مات في الطَّاعونِ في هَذه السَّنَةِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى... هَذا الطَّاعونُ منسوبٌ إلَى بُليدةٍ صَغيرةٍ يُقالُ لَها: عَمْواس. وهيَ بينَ القُدسِ والرَّملةِ؛

---

[٧] أخرجه البخاري.(3176)

لِأنَّها كانَ أوَّلُ ما نَجمُ هَذا الدَّاءَ بِها، ثُمَّ انتَشَرَ في الشَّامِ مِنها، فنُسِبَ إلَيها، فإنَّا لِلَّه وإنَّا إلَيه راجِعونَ)[٨]

نارُ الحِجازِ الَّتي أضاءَت أعناقَ الإبلِ ببُصرَى.

عَن أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عَنه أنَّ رَسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال)) :لا تَقومُ السَّاعةُ حَتَّى تَخرُجَ نارٌ مِن أرضِ الحِجازِ، تُضيءُ أعناقَ الإبِلِ ببُصْرَى (قال النَّوويُّ: (لَيسَ في الحَديثِ أنَّ نارَ الحِجازِ مُتَعَلِّقةٌ بالحَشْرِ، بَل هيَ آيةٌ مِن أشراطِ السَّاعةِ مُستَقِلَّةٌ، وقَد خَرَجَت في زَمانِنا نارٌ بالمَدينةِ سَنَةَ أربَعٍ وخَمسينَ وسِتِّمِائةٍ، وكانَت نارًا عَظيمةً جِدًّا مِن جَنبِ المَدينةِ الشَّرقيِّ وراءَ الحَرَّةِ، تَواتَرَ العِلمُ بِها عِندَ جَميعِ الشَّامِ وسائِرِ البُلدانِ، وأخْبَرَني مَن حَضَرَها مِن أهلِ المَدينةِ)

وذَكَرَ القُرطُبيُّ ظُهورَ هَذِه النَّارِ وأفاضَ في وصفِها، وذَكَرَ أنَّها رُئِيَتْ مِن مَكةَ ومِن جِبالِ بُصرَى

علامات الساعة الكبرى:

عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ الله عَنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال)) :بادِرُوا بالأعْمالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ من مَغْرِبِها، أوِ الدُّخانَ، أوِ الدَّجَّالَ، أوِ الدَّابَّةَ، أوْ خاصَّةَ أحَدِكُمْ، أوْ أمْرَ العامَّةِ ((

وعَن حُذَيفةَ بنِ أُسَيدٍ الغِفاريّ رَضِيَ الله عَنه قال: اطَّلَعَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم علينا ونَحنُ نَتَذاكَرُ، فقال)) :ما تَذاكَرونَ؟ ((قالوا: نَذكُرُ السَّاعةَ. قال)) :إنَّها

[٨] يُنظر: ((البداية والنهاية))(10/68) ، ٧٦.)

لَن تقومَ حَتَّى تَرونَ قبلَها عَشْرَ آياتٍ، فذَكَرَ الدُّخانَ، والدَّجَّالَ، والدَّابَّةَ، وطُلوعَ الشَّمسِ من مَغرِبِها، ونُزولَ عيسى بنِ مَريَمَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ويأجوجَ ومَأجوجَ، وثَلاثةَ خُسوفٍ: خَسْفٌ بالمَشرِقِ، وخَسْفٌ بالمَغرِبِ، وخَسْفٌ بجَزيرةِ العَرَبِ، وآخِرُ ذلك نارٌ تَخرُجُ مِنَ اليَمَنِ، تَطرُدُ النَّاسَ إلى مَحْشَرِهم((

قال الشيخ حافِظٌ الحَكَميُّ: (ذَكَرَ تعالى من كِبارِ أشراطِها الدُّخانَ، ونُزولَ عيسى لقَتْلِ الدَّجَّالِ، وخُروجَ يأجوج ومَأجوجَ، وطُلوعَ الشَّمسِ من مَغرِبِها، وخُروجَ دابَّةِ الأرضِ، وغَيرَها، كما قال تعالى :فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ]الدخان: ١٠ [الآيات. وقال تعالى في شَأنِ عيسى :بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا]النساء: ١٥٨، ١٥٩ [وقال تعالى في شَأنِ يَأجوجَ ومَأجوجَ ....:حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ * وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ]الأنبياء: ٩٦، ٩٧ [الآياتِ. وقال تعالى :هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ]الأنعام: ١٥٨ [وقال تعالى :وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ]النمل: ٨٢ [وقال تعالى :وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ]يس: ٣٨ [وأمَّا الأحاديثُ في أشراطِ السَّاعةِ فكَثيرةٌ مُتواتِرةٌ)

سادسا: المراد بالبعث والنشور وأدلته وصفته والرد على من أنكره.

أولا: تعريف البعث لغة واصطلاحا:

أ- تعريف البعث لغة:

قال الأزهَريُّ: (البَعثُ في كَلامِ العَربِ على وجهينِ: أحَدُهما: الإرسالُ، كقَولِ اللهِ تعالى ﴿ **ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ** ﴾ [الأَعۡرَاف : ١٠٣] ، مَعناه: أرسَلْنا.

والبَعثُ: إثارةُ بارِكٍ أو قاعِدٍ. تَقولُ: بَعَثتُ البَعيرَ فانبَعَث، أي: أثرْتُه فثارَ.

والبَعثُ أيضًا الإحياءُ من اللهِ للموتى، ومنه قَولُه جَلَّ وعزَّ ﴿ **ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ** ﴾ [البَقَرَةِ : ٥٦] أي: أحييناكم[٩].

قال الشيخ ابنُ عُثَيمين رحمه الله: (قَولُه تعالى :﴿ **ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ** ﴾ [البَقَرَةِ : ٥٦] ؛ أصلُ «البَعثِ» في اللُّغةِ: الإخراجُ، ويُطلَقُ على الإحياءِ، كما هذه الآية)[١٠].

ب- تعريف البعث اصطلاحاً:

قال ابنُ كثيرٍ في مَعنى البَعثِ: (هو المَعادُ وقيامُ الأرواحِ والأجسادِ يَومَ القيامةِ)[١١]

وقال ابنُ عُثَيمين: (البَعثُ لُغةً: الإرسالُ والنَّشْرُ، وشَرعًا: إحياءُ الأمواتِ يَومَ القيامةِ)[١٢]

ثانيا: تعريف النشور لغة واصطلاحا:

---

٩ يُنظر: ((تهذيب اللغة))(2/ 201)

١٠ يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - الفاتحة والبقرة)).(1/ 192)

١١ يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) .(5/ 395)

١٢ يُنظر: ((شرح لمعة الاعتقاد)) (ص: ١١٥).

أ- تعريف النشور لغة:

النَّشْرُ والنُّشورُ والإنشارُ: إحياءُ الميّتِ[13]

ب- تعريف النشور اصطلاحاً:

النُّشورُ اصطِلاحًا: هو انتِشارُ النَّاسِ من قُبورِهم إلى المَوقِفِ للحِسابِ والجَزاءِ.

قال اللهُ تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ٢٢﴾ [عَبَس: ٢٢] قال ابنُ كثيرٍ: (أي: بَعثَه بَعدَ موتِه. ومنه يُقالُ: البَعثُ والنُّشورُ)[14].

وفي الحديث عن حُذَيفةَ رَضِيَ اللهُ عنه قال: كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إذا استيقَظَ قال: الحَمدُ للهِ الذي أحيانَا بَعدَ ما أماتَنا وإليه النُّشورُ))[15]

وقال السَّفارينيُّ: (أمَّا النُّشورُ فهو يُرادِفُ البَعثَ في المَعنى، نَشَرَ المَيِّتَ يَنشُرُ نُشورًا: إذا عاشَ بَعدَ المَوتِ، وأنشَرَه اللهُ، أي: أحياه)[16]

ثالثا: أدلة البعث:

أ- أدلة البعث من القرآن الكريم:

الأساليب الواردة في القرآن في الدلالة على البعث:

أوَّلًا: الإقسامُ على وُقوعِ البَعثِ:

---

١٣ ينظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٤٣٠)، ((تاج العروس)) للزبيدي.(14/ 215)

١٤ يُنظر: ((تفسير ابن كثير)).(8/323)

١٥ أخرجه البخاري(6314)

١٦ يُنظر: ((لوامع الأنوار البهية))(2/ 158)

قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَيَسْتَنْبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۝٥٣﴾ [يُونُس: ٥٣]

وقال سبحانه: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٣﴾ [سَبَإ: ٣]

وقال سبحانه: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝٧﴾ [التَّغَابُن: ٧]

قال ابنُ كثيرٍ معلقا على قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ ﴾: (هذه إحدى الآياتِ الثَّلاثِ التي لا رابعَ لهنَّ، مِمَّا أمرَ اللهُ رَسولَه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أن يُقسِمَ بربِّه العَظيمِ على وُقوعِ المَعادِ لَمَّا أنكرَه من أنكرَه من أهلِ الكُفرِ والعنادِ ...ثم ذكر هذه الآيات الثلاث.

وقال مُجاهدٌ وقتادةُ في قوله تعالى: ﴿ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ ﴾ "لا يَغيبُ عنه، قال ابن كثير: "أي: الجَميعُ مُندَرِجٌ تَحتَ عِلمِه، فلا يَخفى عليه منه شَيءٌ، فالعِظامُ وإن تَلاشَتْ وتَفرَّقَت وتَمَزَّقَت، فهو عالِمٌ أينَ ذَهَبَت وأينَ تَفَرَّقَت، ثُمَّ يُعيدُها كما بَدَأها أوَّلَ مَرَّةٍ، فإنَّه بكُلِّ شَيءٍ عَليمٌ"[17].

ثانيًا: التَّنبيهُ بالنَّشأةِ الأُولى على النَّشأةِ الثَّانيةِ:

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ۝٤٩ ۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِى صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِى

---

١٧ يُنظر: ((تفسير ابن كثير))(6/ 495)

فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾ [الإِسْرَاء: ٤٩ - ٥٢]

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [يس: ٧٧ - ٨٠]

قال ابنُ كثيرٍ: (هيَ عامَّةٌ في كُلِّ من أنكَرَ البَعثَ. والألِفُ واللامُ في قَولِه :أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ للجِنسِ، يَعُمُّ كُلَّ مُنكِرٍ للبَعثِ .أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ أي: أولَم يَستدِلَّ من أنكَرَ البَعث بالبَدءِ على الإعادةِ؟... فالذي خَلَقَه من هذه النُّطفةِ الضَّعيفةِ أليسَ بقادِرٍ على إعادَتِه بَعدَ مَوتِه؟)[18]

وقال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [القِيَامَة: ٣٦ - ٤٠]

قال ابنُ كثيرٍ: (المَقصودُ هنا إثباتُ المَعادِ، والرَّدُّ على مَن أنكَرَه من أهلِ الزَّيغِ والجَهلِ والعِنادِ؛ ولِهذا قال مُستَدِلًّا على الإعادةِ بالبداءةِ، فقالَ ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ﴾)[19]

وقال تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾﴾ [الطَّارِق: ٥ - ٩]

---

١٨ يُنظر: ((تفسير ابن كثير)).(6/ 594)

١٩ يُنظر: ((تفسير ابن كثير)).(8/ 283)

ثالِثًا: التَّنبيهُ بإحياءِ الأرضِ بَعدَ مَوتِها على إحياءِ المَوتى:

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج: ٥ - ٧]

وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فُصِّلَت: ٣٩]

قال السَّعديُّ :وَمِنْ آيَاتِهِ الدَّالَّةِ على كمالِ قُدرتِه، وانفِرادِه بالمُلكِ والتَّدبيرِ والوَحدانيَّةِ أَنَّكَ تَرَى الأرْضَ خَاشِعَةً أي: لا نباتَ فيها فَإِذَا أَنزلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ أي: المطَرَ اهْتَزَّتْ أي: تحرَّكت بالنباتِ وَرَبَتْ ثم: أنبتَت من كُلِّ زَوجٍ بَهيجٍ، فيُحيي به العِبادَ والبِلادَ .إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا بعد موتِها وهمودِها، لَمُحْيِي الْمَوْتَى من قبورِهم إلى يومِ بَعْثِهم ونُشورِهم إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فكما لَم تَعجِزْ قُدرتُه عن إحياءِ الأرضِ بَعدَ مَوتِها، لا تَعجِزُ عن إحياءِ المَوتى)[٢٠].

رابِعًا: التَّنبيهُ بخَلقِ السَّمَواتِ والأرضِ على إحياءِ المَوتى:

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الأَحْقَاف: ٣٣]

---

٢٠ يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٧٥٠)

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾ [يس: ٨١]

وقال تعالى: ﴿ ...وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ * أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٩٨ - ٩٩]

خامسًا: إخبارُ الله تعالى بما وقَعَ من البَعثِ الحِسّيِّ المُشاهَدِ في الحَياةِ الدُّنيا:

ومن ذلك:

١- قِصَّةُ الذي مَرَّ على قَريةٍ وهيَ خاويةٌ على عُروشِها:

قال تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٩]

٢- طلبُ إبراهيمَ مِن رَبِّه مُشاهدةَ إحياءِ الموتى:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِىۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًاۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٠]

٣- مَوتُ بني إسرائيلَ الذينَ طَلَبوا رُؤيةَ رَبِّهم، فأخذَتْهمُ الصَّاعِقةُ، ثُمَّ بَعثَهمُ اللهُ:

قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ٥٥﴾ [البَقَرَة : ٥٥]

٤- إخبارُ اللهِ عن قَتيلِ بني إسرائيلَ الذي أعادَ اللهُ إليه الحَياةَ بَعدَ ما قُتِلَ وأخبرَ عن قاتِله:

قال تعالى: ﴿ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٧٣﴾ [البَقَرَة : ٧٣]

٥- إخبارُ اللهِ تعالى عن إماتةِ آلافٍ من النَّاسِ خَرجوا من ديارِهم حَذَرَ الموتِ، فأماتهُمُ اللهُ ثُمَّ أحياهم:

قال تعالى: ﴿ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٢٤٣﴾

[البَقَرَة : ٢٤٣]

ومن الأدلة أيضاً:

قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٧٩﴾ [يس : ٧٨ - ٧٩]

وقوله تعالى: ﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ٤﴾ [القِيَامَة : ٣ - ٤]

وقوله تعالى: ﴿ قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ٤﴾ [ق : ١ - ٤]

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ٤٩ * قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ٥٠ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ٥١ يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ٥٢﴾ [الإسراء: ٤٩ - ٥٢]

وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ١٨﴾ [نوح: ١٧ - ١٨]

وقوله تعالى: ﴿ * مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ٥٥﴾ [طه: ٥٥]

ب- أدلة البعث من السنة النبوية:

عن أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه، عن النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((قال اللهُ: كذَبَني ابنُ آدَمَ ولَم يَكُنْ له ذلك، وشَتَمَني ولَم يَكُن له ذلك؛ فأمَّا تَكذيبُه إيَّايَ فقولُه: لَن يُعيدَني كما بَدَأني. وليس أوَّلُ الخَلقِ بأهونَ عَلَيَّ مِن إعادَتِه، وأمَّا شَتْمُه إيَّايَ فقَولُه: اتَّخَذَ اللهُ ولَدًا. وأنا الأحَدُ الصَّمدُ لَم ألِدْ ولَم أُولَدْ ولَم يَكُنْ لي كُفُأً أحَدٌ[21])) .

عن أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه أنَّ رَسولَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((إنَّ في الإنسانِ عَظمًا لا تأكُلُه الأرضُ أبَدًا فيه يُرَكَّبُ يومَ القيامةِ. قالوا: أيُّ عَظمٍ هو يا رَسولَ اللهِ؟ قال: عَجبُ الذَّنبِ))[22].

وفي رِوايةٍ أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((كُلُّ ابنِ آدَمَ يأكُلُه التُّرابُ إلَّا عَجبَ الذَّنَبِ، منه خَلقٌ وفيه يُرَكَّبُ))[23].

---

٢١ أخرجه البخاري(4974)

٢٢ خرجه البخاري (٤٨١٤) بنحوه، ومسلم (٢٩٥٥) واللَّفظُ له.

٢٣ أخرجها البخاري (٤٩٣٥) مطولًا بنحوه، ومسلم (٢٩٥٥) واللَّفظ له

١- عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه قال: قال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم)) :ما بينَ النَّفخَتينِ أربَعونَ - قالوا: يا أبا هُريرةَ أربَعونَ يومًا؟ قال: أبيتُ، قالوا: أربَعونَ شَهرًا؟ قال: أبيتُ، قالوا: أربَعونَ سَنةً؟ قال: أبيتُ، ثُمَّ يُنزِلُ اللهُ من السَّماءِ ماءً فيَنبُتونَ كما يَنبُتُ البَقْلُ، قال: وليس من الإنسانِ شَيءٌ إلَّا يَبلى إلَّا عَظمًا واحِدًا، وهو عَجْبُ الذَّنَبِ، ومنه يُرَكَّبُ الخَلقُ يومَ القيامةِ))[24]

٢- حَديثُ عَبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رَضِيَ اللهُ عنهما وفيه((ثُمَّ يُنفَخُ في الصُّورِ، فلا يَسمَعُه أحَدٌ إلَّا أصغى لِيتًا ورَفَعَ لِيتًا. قال: وأوَّلُ مَن يَسمَعُه رَجُلٌ يَلوطُ حَوضَ إبِلِه. قال: فيَصعَقُ ويَصعَقُ النَّاسُ. ثُمَّ يُرسِلُ اللهُ -أو قال: يُنزِلُ اللهُ- مَطَرًا كأنَّه الطَّلُّ أوِ الظِّلُّ - نُعمانُ الشَّاكُّ- فتَنبُتُ منه أجسادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنفَخُ فيه أُخرى، فإذا هم قيامٌ يَنظُرونَ، ثُمَّ يُقالُ: يا أيُّها النَّاسُ هَلُمَّ إلى رَبِّكم. وقِفُوهم إنَّهم مَسئولونَ. قال: ثُمَّ يُقالُ: أخرِجوا بَعْثَ النَّارِ. فيقالُ: مِن كم؟ فيقالُ: من كُلِّ ألفٍ تِسعَمِائةٍ وتِسعةً وتِسعينَ. قال: فذاك يَومُ يَجعَلُ الوِلْدانَ شِيبًا، وذلك يَومُ يُكشَفُ عن ساقٍ)).

قال النَّوَويُّ))) :أصغى لِيتًا ورفَعَ لِيتًا ((اللِّيتُ -بكِسرِ اللامِ وآخِرُه مُثنَّاةٌ فوقَ- وهي صَفحةُ العُنُقِ، وهي جانِبُه، وأصغى: أمالَ. قَولُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم)) :وأوَّلُ مَن يَسمَعُه رَجُلٌ يَلوطُ حَوضَ إبلِه ((أي: يُطَيِّنُه ويُصلِحُه. قَولُه)) :كأنَّه الطَّلُّ أوِ الظِّلُّ ((قال العُلَماءُ: الأصَحُّ الطَّلُّ بالمُهمَلةِ(

٣- عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال)) :إنِّي أوَّلُ مَن يَرفَعُ رَأسَه بَعدَ النَّفخةِ الآخِرةِ، فإذا أنا بمُوسى مُتَعَلِّقٌ بالعَرْشِ، فلا أدري أكذلك كان أم بَعدَ النَّفخةِ((

صفة البعث:

إعادة الجسد الأول بروحه التي كانت في الدنيا لم ينقص منه شيء،

ومما يدل على هذا أن الله تعالى ذكر أن تلك الأعضاء التي يعيدها إلى جسدها هي التي ستكون شاهدة على الإنسان بكل ما عملته في الدنيا، ولو أن تلك الأعضاء لم تكن في ذلك الجسد لكانت شهادتها في غير محلها إذ كيف تشهد على جسم لم تكن فيه؟! قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا

[24] أخرجها البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥) واللَّفظُ له.

كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النور: ٢٤ - ٢٥]

وقال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [يس: ٦٥ - ٦٦]

وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [فُصِّلَت: ٢٠ - ٢٣]

فلا يعقل أن تشهد تلك الجوارح في الإنسان من السمع والبصر والجلود بشيء لم تعمله في الدنيا ولم تباشر العمل فيه بنفسها، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ ﴾ ولم يقل (لجلود) مما يدل على أن تلك الجلود هي التي كانت في الدنيان ولو أنها جلود أخرى لكانت تلك الشهادة باطلة ولكانت شهادة زور[٢٥].

ومما يدل على أن الأجساد التي تبعث هي نفسها التي كانت في الدنيا قصة إبراهيم عليه السلام ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٦٠] وهذه صورة لما يقع عليه البعث يوم القيامة.

ومن الأدلة أيضا على بعث الأجساد وأرواحها نفسها التي كانت في الدنيا قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق: ٢٢] وقوله تعالى: ﴿ وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍ

---

٢٥ انظر الحياة الآخرة لغالب العواجي ١/١٤٢ – ١٤٣

بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴿٢٣﴾ [الفَجر: ٢٣] فلفظ الإنسان دليل على أن المبعوث هو الجسد والروح معاً.

ومن أدلة السنة أيضا على صفة البعث: حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: "ما بيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أرْبَعُونَ، قالَ: أرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قالَ: أبَيْتُ، قالَ: أرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قالَ: أبَيْتُ، قالَ: أرْبَعُونَ سَنَةً؟ قالَ: أبَيْتُ، قالَ: ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ ماءً فَيَنْبُتُونَ كما يَنْبُتُ البَقْلُ، ليسَ مِنَ الإنْسانِ شَيءٌ إلَّا يَبْلى، إلَّا عَظْمًا واحِدًا، وهو عَجْبُ الذَّنَبِ، ومِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يومَ القِيامَةِ"[٢٦]

وأيضاً حديث أبي هريرة: رضي الله عنه وفيه أن رجلاً لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ: فقال لأهله عن نفسه: إذا ماتَ فَحَرِّقُوهُ واذْرُوا نِصْفَهُ في البَرِّ، ونِصْفَهُ في البَحْرِ، فَواللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ اللَّهُ عليه لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذابًا لا يُعَذِّبُهُ أحَدًا مِنَ العالَمِينَ، فأمَرَ اللَّهُ البَحْرَ فَجمع ما فِيهِ، وأَمَرَ البَرَّ فَجمع ما فِيهِ، ثُمَّ قالَ: لِمَ فَعَلْتَ؟ قالَ: مِن خَشْيَتِكَ وأَنْتَ أعْلَمُ، فَغَفَرَ له[٢٧].

وقد أجمَعَ أهلُ العِلمِ على ثُبوتِ البَعث:

فنَقَلَ أبو الحَسَنِ الأشعَريُّ إجماعَ أهلِ السُّنَّةِ على ذلك فقال: (أجمَعوا على أنَّ عَذابَ القَبرِ حَقٌّ... وعلى أنَّ اللهَ تعالى يُعيدُهم كما بَدَأهم حُفَاةً عُراةً غُرْلًا، وأنَّ الأجسادَ التي أطاعَت وعَصَت هيَ التي تُبعَثُ يومَ القيامةِ، وكَذلك الجُلودُ التي كانت في الدُّنيا والألسِنةُ والأيدي والأرجُلُ هيَ التي تَشهَدُ عليهم يومَ القيامةِ)[٢٨]

وأجمَعوا على كُفرِ من أنكَرَ البَعثَ يومَ القيامةِ:

قال ابنُ حَزمٍ: (اتَّفَقَ جَميعُ أهلِ القِبلةِ على تَنابُذِ فِرَقِهم على القَولِ بالبَعثِ في القيامةِ، وعلى تَكفيرِ من أنكَرَ ذلك)[٢٩]

---

٢٦ أخرجه البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥)

٢٧ أخرجه البخاري (٧٥٠٦)، ومسلم (٢٧٥٦)

٢٨ يُنظر: ((رسالة إلى أهل الثغر)) (ص: ١٥٩-١٦١).

٢٩ يُنظر: ((الفصل))(4/ 66)

وقال ابنُ عَبدِ البَرّ: (إنَّ من شَرطِ الشَّهادةِ التي بها يُخرَجُ من الكُفرِ إلى الإيمانِ مَعَ الإقرارِ بأنْ لَا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ: الإقرارَ بالبَعثِ بَعدَ المَوتِ، وقد أجمَعَ المُسلِمونَ على أنَّ من أنكَرَ البَعثَ فلا إيمانَ له ولا شَهادةَ، وفي ذلك ما يُغني ويَكفي مَعَ ما في القُرآنِ من تَأكيدِ الإقرارِ بالبَعثِ بَعدَ المَوتِ، فلا وجْهَ للإنكارِ في ذلك)[٣٠]

وقال ابنُ تَيميَّةَ عن الرَّجُلِ الذي أمرَ أهلَه أن يَحرِقوه ويذرُّوه في الرِّيحِ حَتَّى لا يَبعَثَه اللهُ تعالى: (فهذا رَجُلٌ شَكَّ في قُدرةِ الله وفي إعادَتِه إذا ذُرِّيَ، بَلِ اعتَقَدَ أنَّه لا يُعادُ، وهذا كُفرٌ باتِّفاقِ المُسلِمينَ)[٣١]

وقال الشيخ ابنُ بازٍ: (وهَكَذا لَو أنكَرَ البَعثَ بَعدَ المَوتِ، أو أنكَرَ الجَنَّةَ أو أنكَرَ النَّارَ، كَفرَ بإجماعِ المُسلِمينَ، ولَو قال: أشهَدُ أنْ لَا إلهَ إلَّا اللهُ، وأشهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ؛ لأنَّ إنكارَه لهذه الأمورِ تَكذيبٌ للرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وتَكذيبٌ لله فيما أخبَرَ به في كِتابِه)[٣٢]

وقال أيضًا: (وهَكَذا من شَكَّ في الآخِرةِ... هَل هناك بَعثٌ ونُشورٌ؟ هَل يَبعَثُ اللهُ الموتى؟ هَل هناك جَنَّةٌ؟ هَل هناك نارٌ؟ ما عِندَه إيمانٌ ويَقينٌ، بَل عِندَه شَكٌّ، هذا يَكونُ كافِرًا، حَتَّى يُؤمِنَ بالبَعثِ والنُّشورِ وبالجَنةِ والنَّارِ، وأنَّ الله أعَدَّ الجَنَةَ للمُتَّقينَ المُؤمِنينَ، وأعَدَّ النَّارَ للكافِرينَ، لا بُدَّ من إيمانِه بهذا بإجماعِ المُسلِمينَ)[٣٣]

---

٣٠ يُنظر: ((التمهيد)).(9/ 116)

٣١ يُنظر: ((مجموع الفتاوى)).(3/ 231)

٣٢ يُنظر: ((فتاوى نور على الدرب))(4/ 117)

٣٣ يُنظر: ((فتاوى نور على الدرب))(4/ 121)

سابعا: المراد بالحشر والحوض والعرض والحساب والميزان والصراط وأهوال القيامة، وأدلة ذلك كله.

أولا: المراد بالحشر ودليله:

أ- **معنى الحَشْرُ لغة:** الجَمْعُ مع سَوْقٍ، وكُلُّ جَمعٍ حَشْرٌ، وأصلُ (حشر) يدُلُّ على السَّوقِ والبَعثِ والانبِعاثِ.

ب- **معنى الحَشْرُ اصطلاحاً:** سوقُ النَّاسِ وجَمعُهم إلى المَحْشَرِ لِحسابِهم.

قال ابنُ حَجَرٍ عن الحَشرِ يومَ القيامةِ: (حَشرُ الأمواتِ من قُبورِهم وغَيرِها بَعدَ البَعثِ جَميعًا إلى المَوقِفِ.

قال اللهُ عَزَّ وجلَّ: ﴿ وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الكَهْف: ٤٧]

وقال السَّفارينيُّ عن الحَشرِ: (المُرادُ به جَمعُ أجزاءِ الإنسانِ بَعدَ التَّفرِقةِ، ثُمَّ إحياءُ الأبَدانِ بَعدَ مَوتِها.

واعلَمَ أنَّه يَجِبُ الجَزمُ شَرعًا أنَّ اللهَ تعالى يَبعَثُ جَميعَ العِبادِ ويُعيدُهم بَعدَ إيجادِهم بجَميعِ أجزائِهمُ الأصليَّةِ، وهيَ التي من شَأنِها البَقاءُ من أوَّلِ العُمرِ إلى آخِرِه ويَسوقُهم إلى مَحْشَرِهم لفَصلِ القَضاءِ؛ فإنَّ هذا حَقٌّ ثابِتٌ بالكِتابِ والسُّنَّةِ وإجماعِ سَلَفِ الأمَّةِ مَعَ كونِه من المُمكِناتِ التي أخبَرَ بها الشَّارِعُ. وكُلُّ ما هو كذلك فهو ثابِتٌ والإخبارُ عنه مُطابِقٌ)[٣٤].

من أدلة الحشر:

أ- **صفة أرض المحشر:**

عن سَهلِ بن سَعدٍ رَضِيَ اللهُ عنه قال: سَمِعتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يَقولُ: "يُحشَرُ النَّاسُ يَومَ القيامةِ على أرضٍ بَيضاءَ عَفراءَ كقُرصةِ نَقيٍّ"، قال سَهلٌ أو غَيرُه: ليس فيها مَعْلَمٌ لأحَدٍ [٣٥] .وفي روايةٍ)) :ليس فيها عَلَمٌ لأحَدٍ"[٣٦].

---

٣٤ يُنظر: ((لوامع الأنوار البهية)).(2/ 158)

٣٥ أخرجه البخاري(6521)

٣٦ أخرجها مسلم(2790)

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال)) :يَجمَعُ اللهُ النَّاسَ الأوَّلينَ والآخِرينَ في صَعيدٍ واحِدٍ، يُسمِعُهمُ الدَّاعي ويَنْفُذُهمُ البَصَرُ، وتَدنو الشَّمسُ، فيَبلُغُ النَّاسَ من الغَمِّ والكَربِ ما لا يُطيقونَ ولا يَحتَمِلونَ"[37].

قال ابنُ حَجَرٍ: (قال النَّوويُّ: الصَّعيدُ: الأرضُ الواسِعةُ المُستَويةُ. ويَنفُذُهم –بفَتحِ أوَّلِه وسُكونِ النُّونِ وضَمِّ الفاءِ، بَعدَها ذالٌ مُعجَمةٌ– أي: يَخرِقُهم، بمُعجَمةٍ وقافٍ، حَتَّى يَجوزَهم، وقيلَ: بالدَّالِ المُهمَلةِ، أي: يَستَوعِبُهم، قال أبو عُبيدةَ: مَعناه: يُنفُذُهم بَصَرُ الرَّحمَنِ حَتَّى يَأتيَ عليهم كُلِّهم، وقال غَيرُه: المُرادُ بَصَرُ النَّاظِرينَ، وهو أَولى، وقال القُرطُبيُّ: المَعنى أنَّهم يُجمَعونَ في مَكانٍ واحِدٍ بحَيثُ لا يَخفى منهم أحَدٌ لَو دَعاهم داعٍ لسَمِعوه، ولَو نَظَرَ إليهم ناظِرٌ لأدرَكَهم. قال: ويُحتَمَلُ أن يَكونَ المُرادُ بالدَّاعي هنا مَن يَدعوهم إلى العَرضِ والحِسابِ؛ لقَولِه :يَومَ يَدْعُ الدَّاعِ. ([38]

ب– صفة حشر الخلق:

عن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها قالت: قال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم)) :تُحشَرونَ حُفاةً عُراةً غُرْلًا، قالت عائِشةُ: فقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، الرِّجالُ والنِّساءُ يَنظُرُ بَعضُهم إلى بَعضٍ؟! فقال: الأمرُ أشَدُّ من أن يُهِمَّهم ذاك! ثم قرأ :كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ. (([39]

قال النَّوويُّ))) :حُفاةً عُراةً غُرْلًا ((الغُرْلُ بضَمِّ الغينِ المُعجَمةِ وإسكانِ الرَّاءِ، مَعناه: غَيرُ مُختونينَ، جَمعُ أغرَلَ، وهو الذي لَم يُختَنْ، وبَقِيَت مَعَه غُرْلَتُه وهيَ قُلفَتُه، وهيَ الجِلدةُ التي تُقطَعُ في الخِتانِ... والحُفاةُ جَمعُ حافٍ، والمَقصودُ أنَّهم يُحشَرونَ كما خُلِقوا لا شَيءَ مَعَهم ولا يُفقَدُ منهم شَيءٌ حَتَّى الغُرلةُ تَكونُ مَعَهم. ([40]

وهناك صِفاتٌ خاصَّةٌ يَأتي بها بَعضُ الخَلائِقِ، وهيَ هَيئاتٌ مُختَلِفةٌ بَعضُها حَسَنٌ، وبَعضُها قَبيحٌ، بحَسَبِ ما قَدَّموه من خَيرٍ وشَرٍّ.

---

٣٧ أخرجه مطولًا: البخاري (٤٧١٢) واللَّفظُ له، ومسلم.(194)

٣٨ يُنظر: ((فتح الباري)).(11/ 447)

٣٩ أخرجه البخاري (٦٥٢٧) واللَّفظُ له، ومسلم.(2859)

٤٠ يُنظر: ((شرح مسلم)).(17/ 193)

عن جابِرٍ رَضِيَ اللهُ عنه قال: سَمِعتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يَقولُ)) :يُبعَثُ كُلُّ عَبدٍ على ما مات عليه(([41]

١- حشر المتكبرين:

عن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللهُ عنهما أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال)) :يُحشَرُ المُتَكبِّرونَ يومَ القيامةِ أمثالَ الذَّرِّ في صُوَرِ الرِّجالِ، يَغشاهمُ الذُّلُّ من كُلِّ مَكانٍ(([42]

٢- حشر السائلين غير المحتاجين:

عن عَبدِ اللهِ بنَ عُمَرَ رَضِيَ الله عنهما قال: قال رَسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم)) :ما يَزالُ الرَّجُلُ يَسألُ النَّاسَ، حَتَّى يأتيَ يومَ القيامةِ وليس في وَجهِهِ مُزعةُ لَحمٍ(([43]

٣- حشر أصحاب الغلول:

قال اللهُ تعالى :وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ]آل عمران: ١٦١.[

وعن أبي هُريرةَ قال: قامَ فينا رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ذاتَ يَومٍ، فذَكَرَ الغُلولَ فعَظَّمَه وعَظَّمَ أمرَه، ثُمَّ قال)) :لا أُلْفِيَنَّ أحَدَكم يَجيءُ يومَ القيامةِ على رَقَبَتِه بَعيرٌ له رُغاءٌ، يَقولُ: يا رَسولَ اللهِ أغِثْني. فأقولُ: لا أملِكُ لَك شَيئًا، قد أبلَغْتُك... الحديث(([44]

٤- حشر أهل الوضوء غرا محجلين من آثار الوضوء:

---

٤١ أخرجه مسلم.(2878)

٤٢ أخرجه مطولًا الترمذي (٢٤٩٢) واللَّفظُ له، وأحمد (٦٦٧٧) من حديثِ عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عنهما. صحَّحه الترمذي، وحسَّنه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي))(2492) ،

٤٣ أخرجه البخاري (١٤٧٤)، ومسلم.(1040)

٤٤ أخرجه البخاري (٣٠٧٣)، ومسلم (١٨٣١) واللَّفظُ له.

عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال)) :لَكم سِيما ليست لأحَدٍ من الأُمَمِ تَرِدُونَ عليَّ غُرًّا مُحَجَّلينَ؛ من أثَرِ الوُضوءِ((45

٥- حشر الشهداء:

عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه قال: قال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم)) :والذي نَفسي بيدِه لا يُكْلَمُ أحَدٌ في سَبيلِ اللهِ –واللهُ أعلَمُ بمَن يُكلَمُ في سَبيلِه– إلَّا جاءَ يَومَ القيامةِ واللَّونُ لَونُ الدَّمِ، والرِّيحُ رِيحُ المِسْكِ((46

ثانيا: المراد بالحوض ودليله:

تعريف الحوض لغة:

الحَوْضُ لُغةً: مُجْتَمَعُ الماءِ، والجمعُ الحِيَاضُ والأحوَاضُ، مِن حَاضَ الماءَ يَحُوضُه حَوْضًا: إذا جَمَعه وحَاطَه[47].

تعريف الحوض اصطلاحاً:

المُرادُ بالحَوضِ في الِاصطِلاحِ: هو حَوضُ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم الذي تَرِدُ عليه أمَّتُه يَومَ القيامةِ، فيَجعَلُه اللهُ غِياثًا لهم، وإكرامًا لنَبيِّه مُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم[48] .

---

٤٥ أخرجه مسلم (٢٤٧) مطولًا.

٤٦ أخرجه البخاري (٢٨٠٣) واللَّفظُ له، ومسلم (١٨٧٦) مطولًا

٤٧ ينظر: ((تهذيب اللغة)) للأزهري (٥/ ١٠٣)، ((النهاية)) لابن الأثير (١/ ٤٦١)، ((تاج العروس)) للزبيدي.(308 /18)

٤٨ يُنظر: ((شرح الطحاوية)) لابن أبي العز (١/٢٧٧)، ((شرح لمعة الاعتقاد)) (ص: ١٢٣)، ((شرح العقيدة السفارينية)) (ص: ٤٧٨) كلاهما لابن عثيمين.

أدلة الحوض:

١- عن أنسِ بن مالِكٍ رَضِيَ الله عنه أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال)) :إنَّ قَدْرَ حَوضي كما بيْنَ أيلةَ وصَنعاءَ من اليَمَنِ، وإنَّ فيه من الأباريقِ كعَدَدِ نُجومِ السَّماءِ[٤٩]. ((

٢- وعن أنسٍ رَضِيَ الله عنه عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال))لَيَرِدَنَّ عليَّ ناسٌ من أصحابي الحَوضَ حَتَّى إذا عَرَفْتُهمُ اختَلَجوا دوني، فأقولُ: أصحابي! فيَقولُ: لا تَدري ما أحدَثوا بَعدَك. ((

٣- عن عُقبةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم خرج يومًا فصلَّى على أهلِ أُحُدٍ صلاتَه على الميِّتِ، ثم انصرف إلى المِنبَرِ فقال)) :إنِّي فرَطٌ لكم، وأنا شَهيدٌ عليكم، وإنِّي واللهِ لأنظُرُ إلى حَوضي الآنَ، وإنِّي أُعطيتُ مَفاتيحَ خَزائِنِ الأرضِ –أو مَفاتيحَ الأرضِ– وإنِّي واللهِ ما أخافُ عليكم أن تُشرِكوا بَعْدي، ولكِن أخافُ عليكم أن تَنافَسوا فيها[٥٠]. ((

٤- عن أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه أنَّ رَسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال)) :إنَّ حَوضي أبعَدُ من أيلةَ مِن عَدَنٍ، لهو أشَدُّ بَياضًا من الثَّلجِ وأحلى من العَسَلِ باللَّبَنِ، ولَآنيتُه أكثَرُ من عَدَدِ النُّجومِ، ...[٥١]. ((

٥- عن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رَضِيَ الله عنهما أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال)) :حَوضي مَسيرةُ شَهرٍ، ماؤُه أبيضُ من اللَّبَنِ، وريحُه أطيبُ من المِسْكِ، وكِيزانُه كنُجومِ السَّماءِ، من شَرِبَ منها فلا يَظمَأُ أبَدًا[٥٢]. ((

٦- عن أبي ذَرٍّ رَضِيَ الله عنه قال: قَلتُ: يا رَسولَ اللهِ، ما آنيةُ الحَوضِ؟ قال)) :والذي نَفسُ مُحَمَّدٍ بيَدِه لَآنيتُه أكثَرُ من عَدَدِ نُجومِ السَّماءِ وكَواكِبِها، ألَا في الليلةِ المُظلِمةِ المُصحيَةِ، آنيَةُ الجنةِ، من شَرِبَ منها لَم يَظمَأْ آخِرَ ما عليه، يَشخَبُ فيه ميزابانِ من الجَنَّةِ، من شَرِبَ منه لَم يَظمَأْ، عَرضُه مِثلُ طولِه، ما بينَ عُمَانَ إلى أيلةَ، ماؤُه أشَدُّ بَياضًا من اللبَنِ، وأحلى من العَسَلِ[٥٣]. ((

---

٤٩ أخرجه البخاري (٦٥٨٠) واللَّفظُ له، ومسلم.(2303)

٥٠ أخرجه البخاري (١٣٤٤) واللَّفظُ له، ومسلم.(2296)

٥١ أخرجه مسلم.(247)

٥٢ أخرجه البخاري (٦٥٧٩) واللَّفظُ له، ومسلم.(2292)

٥٣ أخرجه البخاري (٦٥٧٩) واللَّفظُ له، ومسلم.(2292)

٧- عن أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال)) :ما بينَ بيتي ومِنبَري رَوضةٌ من رِياضِ الجَنَّةِ، ومِنبَري على حَوضي[٥٤]. ((

قال ابنُ عُثَيمين: (هذا الحَوضُ مَوجودٌ الآنَ؛ لأنَّه ثَبَتَ عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنَّه خَطَبَ ذاتَ يَومٍ في أصحابِه، وقال)) :وإنِّي واللهِ لأنظُرُ إلى حَوضي الآنَ . ((وأيضًا ثَبتَ عن النَّبيِّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ أنَّه قال)) :ومِنبَري على حَوضي . ((وهذا يُحتَمَلُ أنَّه في هذا المكانِ، لَكِن لا نُشاهِدُه؛ لأنَّه غَيبيٌّ. ويُحتَمَلُ أنَّ المِنبَرَ يوضَعُ يَومَ القيامةِ على الحَوضِ.)[٥٥]

قال القُرطُبيُّ: (قال عُلَماؤُنا رَحمةُ اللهِ عليهم أجمَعينَ: فكُلُّ مَنِ ارتَدَّ عن دينِ اللهِ، أو أحدَثَ فيه ما لا يَرضاه اللهُ، ولَم يَأذَنْ به اللهُ؛ فهو من المَطرودينَ عن الحَوضِ المُبعَدينَ عنه، وأشدُّهم طَردًا من خالَفَ جَماعةَ المُسلِمينَ وفارَقَ سَبيلَهم، كالخَوارِجِ على اختِلافِ فِرَقِها، والرَّوافِضِ على تَبايُنِ ضَلالِها، والمُعتَزِلةِ على أصنافِ أهوائِها، فهؤلاء كُلُّهم مُبَدِّلونَ، وكَذلك الظَّلَمةُ المُسرِفونَ في الجَورِ والظُّلمِ وتَطميسِ الحَقِّ، وقَتْلِ أهلِه وإذلالِهم، والمُعْلِنونَ بالكَبائِرِ المُستَخِفُّونَ بالمَعاصي، وجَماعةُ أهلِ الزَّيغِ والأهواءِ والبِدَعِ، ثُمَّ البُعدُ قد يَكونُ في حالٍ ويُقَرَّبونَ بَعدَ المَغفِرةِ إن كان التَّبديلُ في الأعمالِ ولَم يَكُن في العَقائِدِ، وعلى هذا التَّقديرِ يَكونُ نُورُ الوُضوءِ يُعرَفونَ به، ثُمَّ يُقالُ لهم: سُحقًا. وإن كانوا من المُنافِقينَ الذينَ كانوا على عَهدِ رَسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يُظهِرونَ الإيمانَ ويُسِرُّونَ الكُفرَ، فيَأخُذُهم بالظَّاهِرِ. ثُمَّ يُكشَفُ لهمُ الغِطاءُ، فيَقولُ لهم: سُحقًا سُحقًا. ولا يُخَلَّدُ في النَّارِ إلَّا كافِرٌ جاحِدٌ مُبطِلٌ ليس في قَلبِه مِثقالُ حَبَّةٍ من خَردَلٍ من إيمانٍ) [٥٦].

قال ابنُ عُثَيمين: (زَمَنُ الحَوضِ قَبلَ العُبورِ على الصِّراطِ؛ لأنَّ المَقامَ يَقتَضي ذلك؛ حَيثُ إنَّ النَّاسَ في حاجةٍ إلى الشُّربِ في عَرَصاتِ القيامةِ قَبلَ عُبورِ الصِّراطِ) [٥٧]

---

٥٤ أخرجه البخاري (١١٩٦)، ومسلم.(1391)

٥٥ يُنظر: ((شرح العقيدة الواسطية)).(2/ 157)

٥٦ يُنظر: ((التذكرة)).(1/ 350)

٥٧ يُنظر: ((شرح العقيدة الواسطية)).(2/158)

ثالثا: المراد بالعرض ودليله:

قال الطَّحاويُّ: (نُؤمِنُ بالبَعثِ وجَزاءِ الأعمالِ يَومَ القيامةِ، والعَرضِ والحِسابِ وقِراءةِ الكِتابِ، والثَّوابِ والعِقابِ، والصِّراطِ والميزانِ) [٥٨].

والعَرضُ يَومَ القيامةِ على ثَلاثةِ أنواعٍ:

النَّوعُ الأوَّلُ: عَرضٌ عامٌّ لجَميعِ الخَلائِقِ بَرِّهم وفاجِرِهم أمامَ اللهِ تعالى.

ومن أدلَّتِه قَولُ اللهِ تعالى :وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ]الكهف: ٤٨. [

قال ابنُ جَريرٍ: (قَولُه :وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا]الكهف: ٤٨ [يَقولُ عَزَّ ذِكرُه: وعُرِضَ الخَلقُ على رَبِّكَ يا مُحَمَّدُ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ]الكهف: ٤٨ [يَقولُ عَزَّ ذِكرُه: يُقالُ لهم إذ عُرِضوا على اللهِ: لَقد جِئْتُمونا أيُّها النَّاسُ أحياءً كهيئَتِكم حينَ خَلَقْناكم أوَّلَ مَرَّةٍ[٥٩].)

وقال الشَّوكانيُّ: "وفي الآيةِ تَشبيهُ حالِهم بحالِ الجَيشِ الذي يُعرَضُ على السُّلطانِ. ([٦٠]

النَّوعُ الثَّاني: عَرضٌ خاصٌّ بالمُؤمِنينَ وهو الحِسابُ اليَسيرُ.

عن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال)) :مَن نُوقِشَ الحِسابَ عُذِّبَ((، قالت: قُلتُ: أليسَ يَقولُ اللهُ تعالى :فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا]الانشقاق: ٨[؟ قال)) :ذلكِ العَرضُ[٦١]. ((

قال البَغَويُّ: (قَولُه)) :مَن نوقِشَ الحِسابَ يَهْلِك ((فالمُناقَشةُ: الِاستِقصاءُ في الحِسابِ حَتَّى لا يُترَكَ منه شَيءٌ، يُقالُ: انتَقَشتُ منه جَميعَ حَقِّي، ومنه نَقشُ الشَّوكةِ من الرِّجْلِ، وهو استِخراجُها منه.)

---

٥٨ يُنظر: ((متن الطحاوية)) (ص: ٧٢)

٥٩ يُنظر: ((تفسير ابن جرير)).(15/ 283)

٦٠ يُنظر: ((تفسير الشوكاني)).(3/ 346)

٦١ أخرجه البخاري (٦٥٣٦) واللَّفظُ له، ومسلم.(2876)

وقال القسطَلانيُّ: «العَرضُ» أي: عَرضُ أعمالِ المُؤمِنِ عليه حَتَّى يَعرِفَ مِنَّةَ اللهِ عليه في سَترِها عليه في الدُّنيا وفي عَفْوه عنها في الآخِرةِ[٦٢]. (

النَّوعُ الثَّالِثُ: عَرضٌ خاصٌّ بالكُفَّارِ والمُنافِقينَ، وهو المُناقَشةُ، وهو عَرضُ فضيحةٍ على رُؤوسِ الأشهادِ، لا سَتْرَ فيه ولا مَغفِرةَ.

وقد دلَّ على هذا قولُ اللهِ تعالى :وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ]هود: ١٨.[

رابعا: المراد بالحساب ودليله:

تعريف الحساب:

قال ابنُ عُثَيمين: (المُحاسَبةُ: إطلاعُ العِبادِ على أعمالِهم يَومَ القيامةِ[٦٣].

وقال صالِح آل الشَّيخ: (الحِسابُ هو المَقصودُ من الإيمانِ باليَومِ الآخِرِ، فإنَّ الإيمانَ بالبَعثِ مَعناه الإيمانُ بيَومٍ يَرجِعُ فيه النَّاسُ إلى اللهِ فيُحاسَبونَ، وحَقيقةُ الإيمانِ بالبَعثِ هو الإيمانُ بالحِسابِ؛ لأنَّه ما ثَمَّ شَيءٌ إلَّا سَيُحاسِبُ اللهُ جَلَّ وعَلا عَبْدَه عليه، وقد جاءَتِ الآياتُ والأحاديثُ الكَثيرةُ في إثباتِ الحِسابِ، فإنكارُه كُفرٌ باللهِ جَلَّ وعلا؛ لأنَّ من أنكَرَ الحِسابَ فهو مُنكِرٌ للبَعثِ)[٦٤].

أدلة الحساب:

من القرآن:

---

٦٢ يُنظر: ((إرشاد الساري))(9/ 312)

٦٣ يُنظر: ((شرح العقيدة الواسطية)).(2/ 152)

٦٤ يُنظر: ((اللآلئ البهية)).(2/ 242)

١- قال اللهُ تعالى :وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ]المائدة: ٤.]

قال الشَّوكانيُّ: (قَولُه :وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ أي: حِسابُه سُبحانَه سَريعٌ إتيانُه، وكُلُّ آتٍ قَريبٌ.)

٢- قال اللهُ سُبحانَه :وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ]الأنبياء: ٤٧.]

قال السَّعديُّ: (يُخبِرُ تعالى عن حُكمِه العَدلِ، وقَضائِه القِسطِ بينَ عِبادِه إذا جَمَعَهم في يَومِ القيامةِ، وأنَّه يَضَعُ لهمُ المَوازينَ العادِلةَ، التي يُبَيَّنُ فيها مَثاقيلَ الذَّرِّ، الذي توزَنُ بها الحَسَناتُ والسِّيِّئاتُ، فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ مُسلِمةٌ أو كافِرةٌ شيئًا بأن تُنقَصَ من حَسَناتِها، أو يُزادَ في سَيِّئاتِها. وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ التي هيَ أصغَرُ الأشياءِ وأحقَرُها، من خيرٍ أو شَرٍّ أَتَيْنَا بِهَا وأحضَرْناها، لِيُجازى بها صاحِبُها، كقَولِه :فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ. وقالوا يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا]الكهف: ٤٩.]).

٣- قال اللهُ عَزَّ وجلَّ :فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا]الانشقاق: ٧-٩.]

٤- قال اللهُ تعالى :لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ]الرعد: ١٨.]

٥- قال اللهُ عَزَّ وجلَّ :وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ]النور: ٣٩.]

قال ابنُ جَريرٍ) :وَاللَّهُ سَرِيعُ الحِسَابِ يَقولُ: واللهُ سَريعٌ حِسابُه؛ لأنَّه تعالى ذِكرُه لا يَحتاجُ إلى عَقدِ أصابِعَ ولا حِفظٍ بقَلبٍ، ولكِنَّه عالِمٌ بذلك كُلِّه قَبلَ أن يَعمَلَه العَبدُ، ومِن بَعدِه ما عَمِلَه. (وقيل: وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ لا يَشغَلُه حِسابٌ عن حِسابٍ.)

٦- قال اللهُ تعالى :الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ]غافر: ١٧.]

قال ابنُ عُثَيمين) :إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ أي: سَريعُ مُحاسَبةِ الخَلائِقِ على أعمالِهم. (

أدلة السنة:

١- عن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها قالت: قال رَسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم)) :مَن حُوسِبَ يَومَ القيامةِ عُذِّبَ .((فقُلتُ: أليسَ قد قال اللهُ عزَّ وجلَّ :فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا]الِانشِقاقُ: ٨ [فقال)) :ليس ذاكِ الحِسابُ، إنَّما ذاكِ العَرضُ، من نوقِشَ الحِسابَ يَومَ القيامةِ عُذِّبَ. ((

٢- عن عبدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عنهما عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال)) :عُرِضَتْ عليَّ الأمَمُ، فرَأيتُ النَّبيَّ ومَعَه الرُّهَيطُ، والنَّبيَّ ومَعَه الرَّجُلُ والرَّجُلانِ، والنَّبيَّ ليس مَعَه أحَدٌ؛ إذ رُفِعَ لي سَوَادٌ عَظيمٌ فظَنَنتُ أنَّهم أمَّتي، فقيلٌ لي: هذا موسى صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وقومُه، ولَكِنِ انظُر إلى الأفُقِ. فنَظَرتُ فإذا سَوادٌ عَظيمٌ فقيلَ لي: انظُر إلى الأفُقِ الآخَرِ، فإذا سَوادٌ عَظيمٌ، فقيلٌ لي: هذه أمَّتُك ومَعَهم سَبعونَ ألفًا يَدخُلونَ الجَنَّةَ بغَيرِ حِسابٍ ولا عَذابٍ، ثُمَّ نَهَضَ فدَخَلَ مَنزِلَه، فخاضَ النَّاسُ في أولَئِك الذينَ يَدخُلونَ الجَنَّةَ بغَيرِ حِسابٍ ولا عَذابٍ، فقالَ بَعضُهم: فلَعَلَّهمُ الذينَ صَحِبوا رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم. وقال بَعضُهم: فلَعَلَّهمُ الذينَ وُلِدُوا في الإسلامِ ولَم يُشرِكوا باللهِ، وذَكَروا أشياءَ، فخرَجَ عليهم رَسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقال: ما الذي تَخوضونَ فيه؟ فأخبروه، فقالٌ: همُ الذينَ لا يَرْقُونَ ولا يَستَرْقُونَ ولا يَتطَيَّرونَ، وعلى رَبِّهم يَتَوَكَّلونَ .((فقامَ عُكَّاشةُ بنُ محصَنٍ فقالَ: ادْعُ اللهَ أن يجعَلَني منهم. فقال)) :أنتَ منهم((، ثُمَّ قامَ رَجُلٌ آخَرُ، فقال: ادْعُ اللهَ أن يجعَلَني منهم. فقال)) :سَبَقَك بها عُكَّاشةُ. ((

قال ابنُ عُثَيمين: (قَولُه)) :بغَيرِ حِسابٍ ولا عَذابٍ :((أي: لا يُعذَّبونَ ولا يُحاسَبونَ كرامةً لهم، وظاهِرُه أنَّه لا في قُبورِهم، ولا بَعدَ قيامِ السَّاعةِ (٦٥

وقت الحساب:

قال اللهُ تعالى :يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ]المجادلة: ٦.[

٦٥ يُنظر: ((القول المفيد)).(1/ 101)

قال ابنُ جَريرٍ: (يَقولُ تعالى ذِكرُه: أحصى اللهُ ما عَمِلوا، فعَدَّه عليهم وأثبَتَه وحَفِظَه، ونَسِيَه عامِلوه، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ[٦٦].)

فإذا جَمَعَ اللهُ عِبادَه في المَوقِفِ، وأذِنَ بفَصلِ القَضاءِ فيهم، أعطاهمُ اللهُ كُتُبَ أعمالِهم ليَقِفوا على ما فيها، ثُمَّ بعدَ ذلك تَبدَأُ المُحاسَبةُ.

قال اللهُ سُبحانَه :فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنقَلِبُ إلى أَهْلِهِ مَسْرُورًا وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا]الانشقاق: ٧-١٠[.

قال القُرطُبيُّ: (فإذا وقفَ النَّاسُ على أعمالِهم، من الصُّحُفِ التي يُؤتَونَها بَعدَ البَعثِ حُوسِبوا عليها). وقَبلَ حِساِبِهم يمتازُ كُلُّ فريقٍ عن الآخَرِ، فيَكونُ المُؤمِنونَ في مَكانٍ، ويَكونُ الكُفَّارُ في مَكانٍ آخَرَ. قال اللهُ تعالى :وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ]يس: ٥٩. [

قال ابنُ كثيرٍ: (يَقولُ تعالى مُخبِرًا عَمَّا يَؤولُ إليه حالُ الكُفَّارِ يومَ القيامةِ من أمرِه لهم أن يَمتازَوا، بمَعنَى: يَتَمَيَّزونَ عن المُؤمنينَ في مَوقِفِهم)[٦٧]

خامسا: المراد بالميزان ودليله:

قال القُرطُبيُّ: (قال العُلَماءُ: وإذا انقَضى الحِسابُ كان بَعدَه وزنُ الأعمالِ؛ لأنَّ الوَزنَ للجَزاءِ، فيَنبَغي أن يَكونَ بَعدَ المُحاسَبةِ، فإنَّ المُحاسَبةَ لتَقديرِ الأعمالِ، والوَزنُ لإظهارِ مَقاديرِها؛ ليَكونَ الجَزاءُ بحَسَبِها)[٦٨]

تعريف الميزان لغة:

الميزانُ لغةً: الآلةُ التي يُوزَنُ بها الأشياءُ، ويُجمَعُ على: موازين. والزِّنةُ: قَدْرُ وَزنِ الشَّيءِ، وأصلُ (وزن): يدُلُّ على تعديلٍ واستقامةٍ[٦٩].

---

٦٦ يُنظر: ((تفسير ابن جرير)).(22/ 467)

٦٧ يُنظر: ((تفسير ابن كثير))(6/ 584)

٦٨ يُنظر: ((التذكرة)).(2/ 5-6)

٦٩ يُنظر: ((تهذيب اللغة)) للأزهري (١٣/ ١٧٦)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس.(6/ 107)

تعريف الميزان اصطلاحاً:

الميزانُ في الِاصطِلاحِ ميزانٌ حَقيقيٌّ، له لسانٌ وكِفَّتانِ تُوزَنُ به أعمالُ العِبادِ، خَيرُها وشَرُّها في مَوقِفِ فصلِ القَضاءِ. وقد أخبَرَ اللهُ تعالى عنه في القُرآنِ الكَريمِ على وجهِ الإجمالِ، وجاءَتِ السُّنَّةُ النَّبَويَّةُ بالتَّفصيلِ في شَأنِه [٧٠].

أدلة إثبات الميزان:

من القرآن:

١- قال اللهُ تعالى :وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يِظْلِمُونَ]الأعراف: ٨ -٩.[

قال البَغَويُّ: (قَولُه تعالى :وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ، يَعني: يومَ السُّؤالِ. قال مُجاهِدٌ: مَعناه: والقَضاءُ يومَئِذٍ العَدلُ. وقال الأكثَرون: أرادَ به وزنَ الأعمالِ بالميزانِ، وذاك أنَّ اللهَ تعالى يَنصِبُ ميزانًا له لسانٌ وكِفَّتانِ... والحِكمةُ في وزنِ الأعمالِ امتِحانُ اللهِ عِبادَه بالإيمانِ في الدُّنيا وإقامةُ الحُجَّةِ عليهم في العُقبى[٧١].)

٢- قال اللهُ سُبحانَه :وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ]الأنبياء: ٤٧.[

قال ابنُ كثيرٍ: (قَولُه :وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا أي: ونَضَعُ المَوازينَ العَدْلَ لِيَومِ القيامةِ. الأكثَرُ على أنَّه إنَّما هو ميزانٌ واحِدٌ، وإنَّما جُمِعَ باعتِبارِ تَعَدُّدِ الأعمالِ المَوزونةِ فيه[٧٢].)

٣- قال اللهُ عَزَّ وجلَّ :أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا]الكهف: ١٠٥.[

---

٧٠ يُنظر: ((شرح الطحاوية)) لابن أبي العز (٢/ ٦٠٩)، ((لوامع الأنوار البهية)) للسفاريني (٢/ ١٨٤)، ((شرح العقيدة الواسطية)) لابن عثيمين.(2/ 139)

٧١ يُنظر: ((تفسير البغوي)).(2/ 180)

٧٢ يُنظر: ((تفسير ابن كثير)).(5/ 345)

قال ابنُ جَريرٍ: (يَقولُ تعالى ذِكرُه: هؤلاء الذينَ وصَفْنا صِفتَهم، الأخسَرون أعمالًا، الذينَ كَفَروا بحُجَجِ رَبِّهم وأدِلَّتِه، وأنكَروا لِقاءَه فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ يقولُ: فبَطَلَت أعمالُهم، فلَم يَكُن لها ثوابٌ يَنفَعُ أصحابَها في الآخِرةِ، بَل لهم منها عَذابٌ وخِزيٌ طَويلٌ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا يقولُ تعالى ذِكرُه: فلا نَجعَلُ لهم ثِقْلًا. وإنَّما عنى بذلك: أنَّهم لا تَثقُلُ بهم مَوازينُهم؛ لأنَّ المَوازينَ إنَّما تَثقُلُ بالأعمالِ الصَّالِحةِ، وليس لهؤلاء شَيءٌ من الأعمالِ الصَّالِحةِ فتَثقُلَ به مَوازينُهم)[٧٣]

من السنة:

١- عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه قال: قال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم)) :كلِمَتانِ حَبيبَتانِ إلى الرَّحمَنِ، خَفيفَتانِ على اللِّسانِ، ثَقيلَتانِ في الميزانِ: سُبحانَ اللهِ وبِحَمدِه، سُبحانَ اللهِ العَظيمِ[٧٤]. ((

بوَّبَ البُخاريُّ لهذا الحديث بقَولِه: (بابُ قَولِ اللهِ عزَّ وجَلَّ :وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَومِ الْقِيَامَةِ]الأنبياء: ٤٧ [وأنَّ أعمالَ بني آدَمَ وقَولَهم يُوزَنُ[٧٥].)

٢- عن أبي مالِكٍ الأشعَريِّ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رَسولَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال)) :الطُّهورُ شَطرُ الإيمانِ، والحَمدُ للهِ تَملَأُ الميزانَ. ((

قال ابنُ عُثَيمين))) :والحَمدُ لله تَملَأُ الميزانَ ((يَعني قَولَ القائِلِ: الحَمدُ للهِ، يَمتَلِئُ الميزانُ بها، أي: الميزانُ الذي تُوزَنُ به الأعمالُ، كما قال اللهُ عزَّ وجَلَّ :وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ]الأنبياء: ٤٧[٧٦]. ([

صفة الميزان:

جُمهورُ العُلَماءِ على أنَّ الميزانَ له كِفَّتانِ حِسِّيَّتانِ مُشاهَدَتانِ، وله لِسانٌ كذلك.

---

٧٣ يُنظر: ((تفسير ابن جرير)).(15/ 429)

٧٤ أخرجه البخاري (٧٥٦٣) واللَّفظُ له، ومسلم.(2694)

٧٥ ينظر: ((صحيح البخاري))(9/198)

٧٦ يُنظر: ((شرح الأربعين النووية)) (ص: ٢٢١).

قال ابنُ أبي العِزِّ: (الذي دَلَّت عليه السُّنَّةُ: أنَّ ميزانَ الأعمالِ له كِفَّتانِ حَسِّيَّتانِ مُشاهَدَتانِ)[٧٧] .

ما الذي يوزن؟

اختَلَفَ أهلُ العِلمِ في المَوزونِ في ذلك اليَومِ على أقوالٍ:

القَولُ الأوَّلُ: أنَّ الذي يُوزَنُ في ذلك اليَومِ الأعمالُ نَفسُها.

ومنَ الأدِلَّةِ على ذلك ظاهِرُ حَديثِ أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه عن رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم)) :كلِمَتانِ حَبيبَتانِ إلى الرَّحمَنِ، خَفيفَتانِ على اللِّسانِ، ثَقيلَتانِ في الميزانِ: سُبحانَ اللهِ وبِحَمدِه، سُبحانَ اللهِ العَظيمِ[٧٨]. ((

وعن أبي الدَّرداءِ رَضِيَ اللهُ عنه عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال)) :ما من شيءٍ أثقَلُ في الميزانِ من حُسْنِ الخُلُقِ. ((

[٧٩]وقد بوَّب البُخاريُّ في آخِرِ الصَّحيحِ: (باب قَولِ اللهِ تعالى :وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ]الأنبياء: ٤٧[، وأنَّ أعمالَ بني آدَمَ وقَولَهم يُوزَنُ).

قال ابنُ دَقيقِ العيدِ: (قد تَظاهَرَت نُصوصُ القُرآنِ والسُّنَّةِ على وزنِ الأعمالِ) .[٨٠]

وقال ابنُ حَجَرٍ: (الصَّحيحُ أنَّ الأعمالَ هيَ التي تُوزَنُ) .[٨١]

وقال ابنُ عُثَيمين في فوائِدِ حَديثِ)) :والحَمدُ للهِ تَملأُ الميزانَ) :((هنا يَرِدُ إشكالٌ: كيفَ يُوزَنُ العَمَلُ وهو ليس بجِسمٍ؟ وكَيفَ الحَمدُ تَملأُ الميزانَ وهيَ ليست بجِسمٍ؟ والجَوابُ عن كُلِّ هذا سَهلٌ، وهو: أنَّ اللهَ عزَّ وجَلَّ قادِرٌ على أن يَجعَلَ الأعمالَ أجسامًا والمَعانيَ أجسامًا، فإنَّه على كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ عزَّ وجَلَّ، ألم يَثبُتْ عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنَّه أخبَرَ أنَّ البَقرةَ وآلَ عِمرانَ تَأتيانِ يَومَ القيامةِ كأنَّهما غَمامَتانِ أو غيايَتانِ تُظِلَّانِ صاحِبَهما ، وهما عَمَلٌ؟! لَكِنَّ اللهَ على كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ.

---

٧٧ يُنظر: ((شرح الطحاوية)).(2/ 609)

٧٨ أخرجه البخاري (٧٥٦٣) واللَّفظُ له، ومسلم.(2694)

٧٩ أخرجه من طرُقٍ: أبو داود (٤٧٩٩) واللَّفظُ له، والترمذي (٢٠٠٢)، وأحمد (٢٧٥٥٥). صحَّحه الترمذي،

٨٠ يُنظر: ((شرح الأربعين النووية)) (ص: ٨٥).

٨١ يُنظر: ((فتح الباري)).(13/ 539)

أليسَ قد ثَبَتَ عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنَّ المَوتَ يُؤتى به يَومَ القيامةِ على صورةِ كبشٍ فيوقَفُ بينَ الجَنَّةِ والنَّارِ ويُقالُ: يا أهلَ الجَنةِ فيَطَّلِعونَ ويَشرَئِبُّونَ، فيُقالُ: هَل تَعرِفونَ هذا؟ فيَقولونَ: نَعَم، هذا المَوتُ، يُقالُ: يا أهلَ النَّارِ، فيَطَّلِعونَ ويَشرَئِبُّونَ، ويُقالُ: هَل تَعرِفونَ هذا؟ فيَقولونَ: نَعَم، هذا المَوتُ، ثُمَّ يُذبَحُ بينَ الجَنَّةِ والنَّارِ، ويُقالُ: يا أهلَ الجَنَّةِ خُلودٌ ولا مَوتَ، يا أهلَ النَّارِ خُلودٌ ولا موتَ ، والمَوتُ مَعنويٌّ. فالمُهم أن نَقولَ: إنَّ الميزانَ يَومَ القيامةِ حِسِّيٌّ، حَقيقيٌّ، تُوزَنُ به الأعمالُ، فمَن ثَقُلَت مَوازينُه فأولَئِك همُ المُفلِحونَ، ومن خَفَّتْ مَوازينُه فقد خَسِروا أنفُسَهم.)[٨٢]

القَولُ الثَّاني: أنَّ الذي يُوزَنُ هو العامِلُ نَفسُه.

عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رَسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال)) :إنَّه ليَأتي الرَّجُلُ العَظيمُ السَّمينُ يَومَ القيامةِ لا يَزِنُ عِندَ اللهِ جَناحَ بَعُوضةٍ، وقال: اقرَؤوا :فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا]الكهف: ١٠٥[. (([٨٣]

وعن ابنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّه كان يَجتَني سِواكًا من الأراكِ، وكان دَقيقَ السَّاقينِ، فجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكفَؤُه، فضَحِكَ القَومُ منه! فقال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم)) :مِمَّ تَضحَكونَ؟((!، قالوا: يا نَبيَّ اللهِ، من دِقَّةِ ساقَيه! فقال)) :والذي نَفسي بيدِه لهما أثقَلُ في الميزانِ من أُحُدٍ. (([٨٤]

قال الشِّنقيطيُّ: (قد دَلَّتِ السُّنَّةُ الصَّحيحةُ على أنَّ مَعنى الآيةِ يَدخُلُ فيه الكافِرُ السَّمينَ العَظيمُ البَدَنِ، لا يَزِنُ عِندَ اللهِ يَومَ القيامةِ جَناحَ بَعُوضةٍ، قال البُخاريُّ في صَحيحِه في تَفسيرِ هذه الآيةِ: حَدَّثنا مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ اللهِ، حَدَّثنا سَعيدُ بن أبي مَريَم، أخبَرَنا المُغيرةُ بنُ عَبدِ الرَّحمَنِ، حَدَّثَني أبو الزِّنادِ عن الأعرَجِ عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، عن رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال)) :إنَّه ليَأتي الرَّجُلُ العَظيمُ السَّمينُ يَومَ القيامةِ لا يَزِنُ عِندَ اللهِ جَناحَ بَعُوضةٍ، وقال: اقرَؤوا فلا نُقيمُ لهم يَومَ القيامةِ وزنًا((، وعن يَحيى بن بَكيرٍ، عن المُغيرةِ بن عَبدِ الرَّحمَنِ، عن أبي الزِّنادِ مِثلَه اهـ، من البُخاريِّ. وهذا الحَديثُ أخرَجَه أيضًا مُسلِمٌ في صَحيحِه، وهو يَدُلُّ على أنَّ نَفسَ الكافِرِ العَظيمِ السَّمينِ لا يَزِنُ عِندَ اللهِ جَناحَ بَعوضةٍ، وفيه دَلالةٌ على وزنِ الأشخاصِ.)[٨٥]

---

٨٢ يُنظر: ((شرح الأربعين النووية)) (ص: ٢٣١).

٨٣ أخرجه البخاري (٤٧٢٩) واللَّفظُ له، ومسلم.(2785)

٨٤ أخرجه أحمد (٣٩٩١) واللَّفظُ له، وابن حبان (٧٠٦٩)، والطبراني (٩/٧٥) (٨٤٥٢). صحَّحه ابن حبان، والألباني بطرقه في ((سلسلة الأحاديث الصحيحة))(2750) ،

٨٥ يُنظر: ((أضواء البيان)).(3/ 352)

القولُ الثَّالثُ: أنَّ الذي يُوزَنُ صَحائِفُ الأعمالِ

عن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ الله عنهما أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال)) :إنَّ الله سَيُخَلِّصُ رَجُلًا من أمَّتي على رُؤوسِ الخَلائِقِ يومَ القيامةِ فيَنشُرُ عليه تِسعةً وتِسعينَ سِجلًّا، كُلُّ سِجلٍّ مِثلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقولُ: أتُنكِرُ مِن هذا شَيئًا؟ أظلَمَك كَتَبَتي الحافِظونَ؟ فيَقولُ: لا يا رَبِّ، فيَقولُ: أفلَك عُذرٌ؟ فيَقولُ: لا يا رَبِّ، فيَقولُ: بلى إنَّ لَك عِندَنا حَسَنةً فإنَّه لا ظُلمَ عليك اليَومَ، فتُخرَجُ بطاقةٌ فيها: أشهَدُ أنْ لَا إلهَ إلَّا اللهُ وأشهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبدُه ورَسولُه، فيَقولُ: احضُرْ وزنَك، فيَقولُ: يا رَبِّ، ما هذه البِطاقةُ مَعَ هذه السِّجِلَّاتِ؟! فقال: إنَّك لا تُظلَمُ، قال: فتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ في كِفَّةٍ والبِطاقةُ في كِفَّةٍ، فطاشَتِ السِّجِلَّاتُ وثَقُلَتِ البِطاقةُ، فلا يَثقُلُ مَعَ اسمِ اللهِ شَيءٌ. ((٨٦

ومِمَّن ذَهَبَ إلى هذا القَولِ القُرطُبيُّ، فقال: (الصَّحيحُ أنَّ المَوازينَ تَثقُلُ بالكُتُبِ فيها الأعمالُ مَكتوبةً وبِها تَخِفُّ، ... فالصُّحُفُ أجسامٌ، فيَجعَلُ اللهُ تعالى رُجحانَ إحدى الكِفَّتينِ على الأخرى دَليلًا على كثرةِ أعمالِه بإدخالِه الجَنَّةَ أوِ النَّارَ) .٨٧

وقال السَّفارينيُّ: (اختُلِفَ في المَوزونِ، قيلَ: يُوزَنُ العَبدُ مَعَ عَمَلِه، وقيلَ: تُوزَنُ نَفسُ الأعمالِ... والحَقُّ ما قَدَّمناه أنَّ المَوزونَ صُحُفُ الأعمالِ، وصَحَّحَه ابنُ عَبدِ البَرِّ والقُرطُبيُّ وغَيرُهما، وصوَّبَه الشَّيخُ مرعي في بَهجَتِه، وذَهَبَ إليه جُمهورٌ من المُفَسِّرينَ) .٨٨

وقد ذَهَبَ عَدَدٌ من أهلِ العِلمِ إلى الجَمعِ بينَ الأحاديثِ والأقوالِ السَّابِقةِ.

قال ابنُ كثيرٍ: (الذي يوضَعُ في الميزانِ يَومَ القيامةِ، قيلَ: الأعمالُ وإن كانت أعراضًا، إلَّا أنَّ اللهَ تعالى يَقلِبُها يَومَ القيامةِ أجسامًا.

---

٨٦ أخرجه الترمذي (٢٦٣٩) واللَّفظُ له، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد (٦٩٩٤). صحَّحه ابن حبان في ((صحيحه))(225) ،

٨٧ يُنظر: ((التذكرة)).(9 /2)

٨٨ يُنظر: ((لوامع الأنوار البهية)).(187 /2)

....وقيلَ: يُوزَنُ كِتابُ الأعمالِ، كما جاءَ في حَديثِ البِطاقةِ، ... .وقيلَ: يُوزَنُ صاحِبُ العَمَلِ، كما في الحَديثِ)) :يُؤتى يَومَ القيامةِ بالرَّجُلِ السَّمينِ، فلا يَزِنُ عِندَ اللهِ جَناحَ بَعُوضةٍ وفي مناقب ابن مسعود:...أتَعْجَبونَ من دِقَّةِ ساقَيه، فوالذي نَفسي بيدِه لهما في الميزانِ أثقَلُ من أُحُدٍ. ((٨٩

وقد يُمكِنُ الجَمعُ بينَ هذه الآثارِ بأن يَكونَ ذلك كُلُّه صَحيحًا؛ فتارةً تُوزَنُ الأعمالُ، وتارةً تُوزَنُ مَحالُّها، وتارةً يُوزَنُ فاعِلُها. واللهُ أعلَمُ. (٩٠

سادسا: المراد بالصراط ودليله:

تعريف الصراط لغة:

الصِّراطُ لُغةً: الطَّريقُ، وهو بالصَّادِ لُغةُ قُرَيشٍ التي جاء بها الكِتابُ، وعامَّةُ العَرَبِ تجعلُه بالسِّينِ، وإنَّما قيل للطَّريقِ الواضِحِ: سِراطٌ؛ لأنَّه يَسترِطُ المارَّةَ لكَثرةِ سُلوكِهم إيَّاه، وأصلُ (سرط) يدُلُّ على غَيبةٍ في مَرٍّ وذَهابٍ[٩١].

تعريف الصراط اصطلاحاً:

قال ابنُ عُثَيمين: (الصِّراطُ جِسرٌ يوضَعُ على جَهنَّمَ يَصعَدُ منه المُؤمِنونَ من أرضِ المَحشَرِ إلى الجَنةِ، ولا يَصعَدُه إلَّا المُؤمِنونَ، أمَّا الكُفَّارُ فقد سِيقوا إلى جَهَنَّمَ وأُلقوا فيها، لَكِنِ المُؤمِنونَ همُ الذين يَصعَدونَ هذا الصِّراطَ)[٩٢]

أدلة الصراط:

١- قال اللهُ تعالى :وَإِنْ مِنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا]مريم: ٧١-٧٢.]

---

٨٩ أخرجه أحمد (٣٩٩١)، وابن حبان(7069) ،

٩٠ يُنظر: ((تفسير ابن كثير)).(3/ 389)

٩١ يُنظر: ((تهذيب اللغة)) للأزهري (١٢/ ٢٣٢)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ١٥٢).(3/ 349) (

٩٢ يُنظر: ((شرح العقيدة السفارينية)) (ص: ٤٧٥-٤٧٧).

قال ابنُ جَريرٍ: (قال ابنُ زيدٍ في قَولِه :وَإِنْ مِنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا]مَريم: ٧١ [وُرودُ المُسلِمينَ: المُرورُ على الجِسرِ بينَ ظَهرَيها، وورودُ المُشركينَ أن يَدخُلوها[٩٣]

قال ابنُ أبي العِزِّ: (اختَلَفَ المُفسرونُ في المُرادِ بالوُرودِ المَذكورِ في قَولِه تعالى :وَإِنْ مِنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا]مريم: ٧١ [ما هو؟ والأظهَرُ والأقوى: أنَّه المُرورُ على الصِّراطِ، قال تعالى :ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا]مريم: ٧٢. [

وفي الصَّحيحِ أنَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال)) :والذي نَفسي بيَدِه، لا يَلِجُ النَّارَ أحَدٌ بايع تَحتَ الشَّجَرةِ((، قالت حَفصةُ: فقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، أليسَ اللهُ يَقولُ :وَإِنْ مِنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا]مَريم: ٧١[؟ فقال)) :ألَم تَسمَعيه قال :ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا]مريم: ٧٢ [؟[٩٤] ((

.أشارَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إلى أنَّ وُرودَ النَّارِ لا يَستَلزِمُ دُخولَها، وأنَّ النَّجاةَ من الشَّرِّ لا تَستلزِمُ حُصولَه، بَل يَستَلزِمُ انعِقادُ سَبَبِه، فمَن طَلَبه عَدوُّه ليُهلِكوه ولَم يَتَمَكَّنوا منه، يُقالُ: نَجَّاه اللهُ منهم؛ ولِهذا قال تعالى :وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا]هود: ٥٨[، فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا]هود: ٦٦ [، وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا]هود: ٩٤ [، ولَم يَكُنِ العَذابُ أصابَهم، ولَكِن أصاب غَيرَهم، ولَولا ما خَصَّهمُ اللهُ به من أسبابِ النَّجاةِ لأصابَهم ما أصابَ أولَئِك. وكَذلك حالُ الوارِدِ في النَّارِ، يَمُرُّونَ فوقَها على الصِّراطِ، ثُمَّ يُنجِّي اللهُ الذينَ اتَّقوا ويَذَرُ الظَّالِمينِ فيها جِثِيًّا، فقد بَيَّنَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في حَديثِ جابِرٍ المَذكورِ: أنَّ الوُرودَ هو الوُرودُ على الصِّراطِ. ([٩٥]

وقال الشَّوكانيُّ: (مِمَّا يَدُلُّ على أنَّ الوَرودَ لا يَستَلزِمُ الدُّخولَ قَولُه تعالى :وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ]القصص: ٢٣ [فإنَّ المُرادَ: أشرَفَ عليه لا أنَّه دَخلَ فيه، ....ولا يَخفي أنَّ القَولَ بأنَّ الوَرودَ: هو المُرورُ على الصِّراطِ أوِ الوُرودُ على جَهَنَّمَ وهيَ خامِدةٌ، فيه جَمعٌ بينَ الأدِلَّةِ من الكِتابِ والسُّنَّةِ؛ فيَنبَغي حَملُ هذه الآيةِ على ذلك؛ لأنَّه قد حَصَلَ الجَمعُ بحَملِ الوُرودِ على دُخولِ النَّارِ، مَعَ كونِ الدَّاخِلِ من المُؤمِنينَ مُبعَدًا من عَذابِها، أو بحَملِه على المُضيِّ فوقَ الجِسرِ المَنصوبِ عليها، وهو الصِّراطُ. ([٩٦]

---

٩٣ يُنظر: ((تفسير ابن جرير))(15/ 597)

٩٤ أخرجه مسلم (٢٤٩٦) باختلافٍ يسيرٍ.

٩٥ يُنظر: ((شرح الطحاوية)).(2/ 606)

٩٦ يُنظر: ((تفسير الشوكاني)).(3/ 406)

٢- عن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ اللهُ عنه قال: قال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم)) :يُؤتى بالجِسرِ فيُجعَلُ بينَ ظَهْرَي جَهَنَّمَ((، قُلنا: يا رَسولَ اللهِ، وما الجِسرُ؟ قال)) :مَدحَضةٌ مَزِلَّةٌ ، عليه خَطاطيفُ وكَلاليبُ وحَسَكةٌ مُفَلطَحةٌ لها شَوكةٌ عُقَيفاءُ تكونُ بنَجْدٍ يُقالُ لها السَّعدانُ ، المُؤمِنُ عليها كالطَّرْفِ وكالبَرقِ وكالرِّيحِ وكَأجاويدِ الخَيلِ والرِّكابِ؛ فناجٍ مَخدوشٌ، ومَكدوسٌ في نارِ جهَنَّمَ[٩٧]. ((

وقد أجمَعَ أهلُ العِلمِ على ثُبوتِ الصِّراطِ وأنَّه جِسرٌ مَمدودٌ على مَتنِ جَهنَّمَ.

قال أبو الحَسَنِ الأشعَريُّ: (أجمَعوا على أنَّ الصِّراطَ جِسرٌ مَمدودٌ على جَهَنَّمَ، يَجوزُ عليه العِبادُ بقَدرِ أعمالِهم، وأنَّهم يَتَفاوَتونَ في السُّرعةِ والإبطاءِ على قَدرِ ذلك) [٩٨]

قال ابنُ أبي زمنينَ: (أهلُ السُّنَّةِ يُؤمِنونَ بالصِّراطِ، وأنَّ النَّاسَ يَمُرُّونَ عليه يومَ القيامةِ على قَدرِ أعمالِهم) [٩٩].

-14قال ابنُ تَيميَّةَ: (الصِّراطُ مَنصوبٌ على مَتنِ جهَنَّمَ، وهو الجِسرُ الذي بينَ الجَنةِ والنَّارِ، يَمُرُّ النَّاسُ عليه على قَدرِ أعمالِهم:

-فمنهم مَن يَمُرُّ كلَمحِ البَصَرِ -.ومنهم مَن يَمُرُّ كالبَرقِ -.ومنهم مَن يَمُرُّ كالرِّيحِ. -ومنهم مَن يَمُرُّ كالفَرَسِ الجَوادِ. -ومنهم مَن يَمُرُّ كرِكابِ الإبلِ. -ومنهم مَن يَعدو عَدْوًا. -ومنهم مَن يَمشي مَشيًا. -ومنهم مَن يَزحَفُ زَحفًا. -ومنهم مَن يُخطَفُ فيُلقى في جَهَنَّمَ؛ فإنَّ الجِسرَ عليه كَلاليبُ تَخطِفُ النَّاسَ بأعمالِهم.

فمَن مَرَّ على الصِّراطِ دَخلَ الجَنَّةَ، فإذا عَبَروا عليه وقَفوا على قَنطَرةٍ بينَ الجَنةِ والنَّارِ؛ فيُقتَصُّ لبَعضِهم من بَعضٍ، فإذا هُذِّبوا ونُقُّوا أُذِنَ لهم في دُخولِ الجَنةِ[١٠٠](

٩٧ أخرجه مطولًا البخاري (٧٤٣٩) واللَّفظُ له، ومسلم.(183)

٩٨ يُنظر: ((رسالة إلى أهل الثغر)) (ص: ١٦٣).

٩٩ يُنظر: ((أصول السنة)) (ص: ١٦٨).

١٠٠ يُنظر: ((العقيدة الواسطية)) (ص: ٩٩)

وقال ابن رجب: " وقال أيضًا: (إذا طُهِّرَ المُؤمِنُ من ذُنوبِه في الدُّنيا لَم يَجِد حَرَّ النَّارِ إذا مَرَّ عليها يومَ القيامةِ؛ لأنَّ وِجدانَ النَّاسِ لحَرِّها عِندَ المُرورِ عليها بحَسَبِ ذُنوبِهم، فمَن طُهِّرَ من الذُّنوبِ ونُقِّي منها في الدُّنيا جازَ على الصِّراطِ كالبَرقِ الخاطِفِ والرِّيحِ ولَم يَجِد شَيئًا من حَرِّ النَّارِ ولَم يُحِسَّ بها"[101]

صفات الصراط:

١- الصِّراطُ زَلِقٌ:

عن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ اللهُ عنه، قُلنا: ما الجِسرُ يا رَسولَ اللهِ؟ قال)) :مَدحَضةٌ مَزِلَّةٌ. ((102

قال ابنُ الأثيرِ: (في صِفةِ الصِّراطِ))مَدحَضةٌ مَزِلَّةٌ ((المَزِلَّةُ: مَفعلةٌ مِن زَلَّ يَزِلُّ: إذا زَلِقَ، وتُفتَحُ الزَّاي وتُكسَرُ، أرادَ أنَّه تَزْلَقُ عليه الأقدامُ ولا تَثبُتُ. (103

٢- .له جَنبَتانِ أو حافَتانِ وفيهما كَلاليبُ:

عن أبي هُريرةَ وحُذَيفةَ رَضِيَ اللهُ عنهما أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال)) :وفي حافَتَي الصِّراطِ كَلاليبُ مُعَلَّقةٌ مَأمورةٌ بأخذِ مَن أُمِرَت به. ((104

وعن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ اللهُ عنه: قُلْنا: يا رَسولَ اللهِ، وما الجِسرُ؟ قال)) :مَدحَضةٌ مَزِلَّةٌ، عليه خَطاطيفُ، وكَلاليبُ، وحَسَكةٌ مُفَلطَحةٌ لها شَوكةٌ عُقَيفاءُ تكونُ بنَجْدٍ يُقالُ لها السَّعدانُ105 . ((

قال ابنُ بطَّالٍ: (قَولُه)) :في جَهَنَّمَ كَلاليبُ ((جَمعُ كَلُّوبٍ، وهو الذي يَتَناوَلُ به الحَدَّادُ الحَديدَ من النَّارِ، والخَطاطيفُ جَمعَ خُطَّافٍ، والخُطَّافُ حَديدةٌ مُعْوَجَّةُ الطَّرَفِ يُجذَبُ بها الأشياءُ... والحَسَكُ: مَعروفٌ، وهو شَيءٌ مُضَرَّسٌ ذو شَوكٍ يَنشِبُ به كُلُّ ما مَرَّ به. (106

---

١٠١ يُنظر: ((لطائف المعارف)) (ص: ٣٢٥).

١٠٢ أخرجه مطولًا البخاري (٧٤٣٩) واللَّفظُ له، ومسلم (١٨٣) باختلافٍ يسيرٍ.

١٠٣ يُنظر: ((النهاية)).(2/ 310)

١٠٤ أخرجه مسلم (١٩٥) مطولًا.

١٠٥ أخرجه مطولًا البخاري (٧٤٣٩) واللَّفظُ له، ومسلم.(183)

١٠٦ يُنظر: ((شرح صحيح البخاري)).(10/ 468)

قال العَينيُّ: (قَولُه)) :حَسَكةٌ ((بفَتَحاتٍ، وهيَ شَوكةٌ صُلبةٌ مَعروفةٌ، قاله ابنُ الأثيرِ ، وقال صاحِبُ التهذيبِ وغيرِه: الحَسَكُ: نَباتٌ له ثَمَرٌ خَشِنٌ يَتَعَلَّقُ بأصوافِ الغَنَمِ، ورَبَّما اتُّخِذَ مِثلُه من حَديدٍ، وهو من آلاتِ الحَربِ... قَولُه: مُفَلطَحةٌ:... أي عَريضةٌ... قَولُه: عُقَيفاءُ:... هيَ المُنعَطِفةُ المُعْوَجَّةُ.)[107]

وعن مَعنى شَوكِ السَّعدانِ: قال أبو العَبَّاسِ القُرطُبيُّ: (السَّعدانُ: نَبتٌ كثيرُ الشَّوكِ، شَوكُه كالخَطاطيفِ والمَحاجِنِ) .[108]

٣- الصِّراطُ مِثلُ حَدِّ المُوسى أو حَدِّ السَّيفِ وأدَقَّ مِنَ الشَّعرةِ:

عن ابنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال)) :والصِّراطُ كحَدِّ السَّيفِ، دَحْضٌ مَزِلَّةٌ.))[109]

سابعا: المراد بأهوال يوم القيامة ودليلها:

تعريف الأهوال لغة:

جمع هول، وهو الخوف والأمر الشديد، وقد هاله يهوله فهو هائل ومهول"[110].

تعريف الأهوال اصطلاحاً:

الأمور الشديدة العظام التي تقع بعد البعث من الحساب والميزان المرور على الصراط وغيرها وبعدها دخول الجنة أو النار.

فأهوال يوم القيامة أحد مفردات اليوم الآخر الغيبية التي تقع بعد البعث، وقبل دخول الجنة لمستحقها.

---

١٠٧ يُنظر: ((عمدة القاري)).(25/ 129)

١٠٨ يُنظر: ((المفهم))(1/ 420)

١٠٩ أخرجه من طرق مطولًا الطبراني (٤١٧/٩) (٩٧٦٣)، والحاكم (٨٧٥١) واللَّفظُ له،

١١٠١١٠ تهذيب اللغة ٢١٩/٦

قال تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ ١٩ ﴾ [الصَّافَّات: ١٩] قال ابن كثير رحمه الله: "أي: إنما هو أمر واحد من الله سبحانه وتعالى، يدعوهم دعوة واحدة أن يخرجوا من الأرض، فإذا هم قيام بين يديه ينظرون إلى أهوال يوم القيامة"[١١١].

وقال سبحانه: ﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١ ﴾ [مَرْيَم: ٧١]

وقال سبحانه: ﴿ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ﴾ [غَافِر: ١٨]

قال اللهُ تعالى :فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ]الحاقة: ١٣-١٥[.

قال البَغَويُّ) :وحُمِلَتِ الأرضُ والجِبالُ رُفِعَت من أماكِنِها، فدُكَّتا كُسِرَتا، دَكَّةً كسرةً، واحِدةً فصارَتا هَباءً مُنبَثًّا .فيومَئِذٍ وقَعَتِ الواقِعةُ قامَتِ القيامةُ([١١٢]

قال السَّعديُّ) :وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً أي: فُتِّتَت الجِبالُ واضمَحَلَّتْ وخُلِطَتْ بالأرضِ ونُسِفَتْ على الأرضِ، فكان الجَميعُ قاعًا صَفصفًا لا تَرى فيها عِوَجًا ولا أمْتًا. هذا ما يُصنَعُ بالأرضِ وما عليها([١١٣]

وقال اللهُ تعالى :وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ]المعارج: ٩[.

قال السَّعديُّ) :وتَكونُ الجِبالُ كَالْعِهْنِ وهو الصُّوفُ المَنفوشُ، ثُمَّ تَكونُ بَعدَ ذاك هَباءً مَنثورًا فتَضمَحِلُّ، فإذا كان هذا القَلَقُ والِانزِعاجُ لهذه الأجرامِ الكَبيرةِ الشَّديدةِ، فما ظَنُّك بالعَبدِ الضَّعيفِ الذي قد أثقَلَ ظَهرَه بالذُّنوبِ والأوزارِ؟ (![١١٤]

وقال اللهُ تعالى :وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ]المرسلات: ١٠[.

---

١١١ تفسير ابن كثير ٨/٧

[١١٢] يُنظر: ((تفسير البغوي)).(145 /5)
[١١٣] يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٨٨٣).
[١١٤] يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٨٨٦).

قال ابنُ كثيرٍ) :وَإِذَا الجبالُ نُسِفَتْ أي: ذُهِبَ بها، فلا يَبقى لها عَينٌ ولا أثَرٌ، كقَولِه :ويَسألونك عن الجِبالِ فقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فيَذَرُها قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا]طه: ١٠٥ –١٠٧. ([

وبيَّنَ اللهُ عزَّ وجَلَّ حالَ الأرضِ بَعدَ تَسييرِ الجِبالِ، فقال :وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً]الكهف: ٤٧.[

قال القُرطُبيُّ: (أي نُزيلُها من أماكِنِها مِن على وَجهِ الأرضِ، ونُسَيِّرُها كما نُسَيِّرُ السَّحابَ، كما قال في آيةٍ أُخرى :وهيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ ثُمَّ تُكَسَّرُ فتَعودُ إلى الأرضِ، كما قال :وَبُسَّتِ الجِبالُ بَسًّا * فكانت هَباءً مُنبَثًّا . ومَعنى (بارِزة) ظاهِرةٌ، وليس عليها ما يَستُرُها من جَبَلٍ ولا شَجَرٍ ولا بُنيانٍ، أي قَدِ اجتُثَّتْ ثِمارُها وقُلِعَت جِبالُها، وهُدِمَ بُنيانُها، فهيَ بارِزةٌ ظاهِرةٌ. وعلى هذا القَولِ أهلُ التَّفسيرِ. وقيلَ: "وترى الأرضَ بارِزةً" أي: برزَ ما فيها من الكُنوزِ والأمواتِ، كما قال :وألقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ، وقال :وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا وهذا قَولُ عَطاءٍ(

وقال اللهُ تعالى :﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [طه : ١٠٥ - ١٠٧]

قال السَّعديُّ: (يُخبِرُ تعالى عن أهوالِ القيامةِ، وما فيها من الزَّلازِلِ والقَلاقِلِ، فقال :وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ أي: ماذا يُصنَعُ بها يومَ القيامةِ، وهَل تَبقَى بحالِها أم لا؟ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا أي: يُزيلُها ويَقلَعُها من أماكِنِها فتكونُ كالعِهْنِ وكالرَّملِ، ثُمَّ يَدُكُّها فيَجعَلُها هَباءً مُنبَثًّا، فتَضمَحِلُّ وتَتَلاشى، ويُسَوِّيها بالأرضِ، ويَجعَلُ الأرضَ قاعًا صَفصفًا، مُستَويًا لا ترى فيه أيُّها النَّاظِرُ عِوَجًا، هذا من تَمامِ استوائِها وَلَا أَمْتًا أي: أوديَةً وأماكِنَ مُنخَفِضةٍ أو مُرتَفِعةً، فتَبرُزُ الأرضُ وتَتَّسِعُ للخَلائِقِ، ويَمُدُّها اللهُ مَدَّ الأديمِ، فيَكونونَ في مَوقِفٍ واحِدٍ، يُسمِعُهمُ الدَّاعي، وينفُذُهمُ البَصَرُ)[١١٥]

قال اللهُ سُبحانَه :وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ]التكوير: ٦.[

---

[١١٥] يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٥١٣).

قال ابنُ عُثَيمين) :وإذا البِحارُ سُجِّرَت البِحارُ جَمعُ بَحرٍ، وجُمِعَت لعِظَمَتِها وكَثرَتِها؛ فإنَّها تُمَثِّلُ ثَلاثةَ أرباعِ الأرضِ تَقريبًا أو أكثَرَ. هذه البِحارُ العَظيمةُ إذا كان يَومُ القيامةِ فإنَّها تُسَجَّرُ، أي: تُوقَدُ نارًا، تَشتَعِلُ نارًا عَظيمةً، وحينَئِذٍ تَيبَسُ الأرضُ ولا يَبقى فيها ماءٌ؛ لأنَّ بحارَها المياهَ العَظيمةَ تُسَجَّرُ حَتَّى تَكونَ نارًا (116

قال اللهُ تعالى :يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا]الطور: ٩.[

قال البَغَويُّ) :يومَ تَمورُ السَّماءُ مَوْرًا أي: تَدورُ كدَوَرانِ الرَّحى وتَتَكَفَّأُ بأهلِها تَكفُّؤَ السَّفينةِ. قال قتادةُ: تَتَحرَّك. قال عَطاءٌ الخُراسانيُّ: تَختَلِفُ أجزاؤُها بَعضُها في بَعضٍ. وقيلَ: تَضطَرِبُ، والمورُ يَجمَعُ هذه المَعاني، فهو في اللُّغةِ: الذَّهابُ والمَجيءُ والتَّرَدُّدُ والدَّوَرانُ والِاضطِرابُ. (

وقال السَّعديُّ) :يَومَ تَمورُ السَّماءُ مورًا أي: تَدورُ السَّماءُ وتَضطَرِبُ، وتَدومُ حَرَكَتُها بانزِعاجٍ وعَدَمِ سُكونٍ. (

وقال اللهُ سُبحانَه :إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ]الانفطار: ١.[

وقال اللهُ عَزَّ وجلَّ : إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ]الانشقاق: ١-٢.[

قال ابنُ جَريرٍ: (يَقولُ تعالى ذِكرُه: إذا السَّماءُ تَصَدَّعَت وتَقَطَّعَت فكانت أبوابًا. قَولُه :وأَذِنَتْ لرَبِّها وحُقَّتْ]الِانشِقاقُ: ٢ [يَقولُ: وسَمِعَتِ السَّمَواتُ في تَصدُّعِها وتَشَقُّقِها لرَبِّها، وأطاعَت له في أمرِه إيَّاها.(117

وقال اللهُ تعالى :وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ]الحاقة: ١٦.[

قال ابنُ الجَوزيّ: (انشَقَّتِ السَّماءُ لنُزولِ مَن فيها من المَلائِكةِ، فهيَ يومَئِذٍ واهيةٌ، فيه قَولانِ: أحَدُهما: أنَّ وَهْيَها: ضَعْفُها وتَمَزُّقُها من الخَوفِ، قاله مُقاتِلٌ. والثَّاني: أنَّه تَشَقُّقُها، قاله الفَرَّاءُ) 118

وقال اللهُ سُبحانَه :فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ]الرحمن: ٣٧.[

---

116 يُنظر: ((تفسير جزء عم)) (ص: ٧٠).
117 يُنظر: ((تفسير ابن جرير))(24/ 230)
118 يُنظر: ((تفسير ابن الجوزي)).(4/ 330)

قال ابنُ جَريرٍ: (يَقولُ تعالى ذِكرُه: فإذا انشَقَّتِ السَّماءُ وتَفطَّرَت، وذلك يومَ القيامةِ، فكان لَونُها لَونَ البِرْذَونِ الوَردِ الأحمَرِ، وبِنَحوِ الذي قُلْنا في ذلك قال أهلُ التَّأويلِ)[119] .

تُكَوَّرُ الشَّمسُ يومَ القيامةِ.

قال اللهُ تعالى :إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ]التكوير: ١.[

قال ابنُ جَريرٍ: (اختَلَفَ أهلُ التَّأويلِ في تأويلِ قَولِه :إذا الشَّمسُ كُوِّرَتْ]التَّكوير: ١ [فقال بَعضُهم: مَعنى ذلك: إذا الشَّمسُ ذَهَبَ ضَوءُها... وقال آخَرونَ: مَعنى ذلك: رُمِيَ بها... والصَّوابُ من القَولِ في ذلك عِندَنا: أن يُقالَ :كُوِّرَتْ]التَّكوير: ١ [كما قال اللهُ جَلَّ ثَناؤُه، والتَّكويرُ في كَلامِ العَرَبِ: جَمعُ بَعضِ الشَّيءِ إلى بَعضٍ، وذلك كتَكويرِ العِمامةِ، وهو لَفُّها على الرَّأسِ، وكَتَكويرِ الكارةِ، وهيَ جَمعُ الثِّيابِ بَعضِها إلى بَعضٍ، ولَفُّها، وكَذلك قَولُه :إذا الشَّمسُ كُوِّرَتْ]التَّكويرُ: ١ [إنَّما مَعناه: جَمعُ بَعضِها إلى بَعضٍ، ثُمَّ لُفَّتْ فرُمِيَ بها، وإذا فُعِلَ ذلك بها ذَهَبَ ضَوءُها. فعلى التَّأويلِ الذي تَأَوَّلناه لكِلا القَولينِ اللذينِ ذَكَرتُ عن أهلِ التَّأويلِ وجهٌ صَحيحٌ، وذلك أنَّها إذا كُوِّرَت ورُمِيَ بها، ذَهَبَ ضَوءُها. ([120]

والقَمَرُ يُخْسَفُ.

قال اللهُ سُبحانَه :فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ]القيامة: ٧-٨.[

قال البَغويُّ) :وخَسَفَ القَمَرُ، أظلَمَ وذَهَبَ نَورُه وضَوءُه. ([121]

ويُجمَعُ القَمَرُ مع الشَّمسِ.

قال اللهُ عَزَّ وجلَّ :وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ]القيامة: ٩.[

قال ابنُ القَيِّمِ: (جُمِعَ الشَّمسُ والقَمَرُ ولَم يَجتَمِعا قَبلَ ذلك) .[122]

[119] يُنظر: ((تفسير ابن جرير)).(22/ 226)
[120] يُنظر: ((تفسير ابن جرير)).(24/ 128-131)
[121] يُنظر: ((تفسير البغوي)).(5/ 183)
[122] يُنظر: ((التبيان في أيمان القرآن)).(1/ 236)

وقال السَّعديُّ: (هما لَم يجتَمِعا مُنذُ خَلقَهما اللهُ تعالى، فيَجمَعُ اللهُ بينَهما يومَ القيامةِ) .[123]

والكَواكِبُ يَنفَرِطُ عِقْدُها فتَتَناثَرُ.

قال اللهُ تعالى :وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ]الانفطار: ٢.[

وتَنكَدِرُ النُّجومُ.

قال اللهُ سُبحانَه :وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ]التكوير: ٢.[

قال ابنُ جَريرٍ: (قَولُه :وإذا النُّجومُ انكَدَرَت]التَّكويرُ: ٢ [يَقولُ: وإذا النُّجومُ تَناثَرَت من السَّماءِ فتَساقَطَت، وأصلُ الِانكِدارِ: الِانصِبابُ... قال ابنُ زيدٍ في قَولِه :وإذا النُّجومُ انكَدَرَت]التَّكويرُ: ٢ [قال: رُمِيَ بها من السَّماءِ إلى الأرضِ. وقال آخَرونَ: انكَدَرَت: تَغَيَّرَت.)

مدة الوقوف يوم القيامة:

قال اللهُ تعالى :تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ]المعارج: ٤.[

فقيلَ: المُرادُ باليَومِ هنا: يَومُ القيامةِ، وذلك على أحَدِ الأقوالِ في التَّفسيرِ. وقيلَ: يَكونُ هذا المِقدارُ الطَّويلُ خاصًّا بالكافِرِ، وأمَّا المُؤمِنُ فيُخَفَّفُ عليه الوُقوفُ جِدًّا.

عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال)) :ما من صاحِبِ ذَهَبٍ ولا فِضَّةٍ لا يُؤَدِّي منها حَقَّها إلَّا إذا كان يَومُ القيامةِ صُفِّحَت له صَفائِحُ من نارٍ، فأُحمِيَ عليها في نارِ جَهَنَّمَ، فيُكوى بها جَنبُه وجَبينُه وظَهْرُه، كُلَّما بَرَدَت أُعيدَت له في يَومٍ كان مِقدارُه خَمسينَ ألفَ سَنةٍ، حَتَّى يُقضى بينَ العِبادِ، فيُرى سَبيلَه، إمَّا إلى الجَنةِ، وإمَّا إلى النَّارِ. ((

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال)) :يَوم يَقومُ النَّاسُ لرَبِّ العالَمينَ مِقدارُ نِصفِ يَومٍ من خَمسينَ ألفَ سَنةٍ، فيهونَ ذلك على المُؤمِنِ كتَدَلِّي الشَّمسِ للغُروبِ إلى أن تغرُبَ. ((

---

[123] يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٨٩٩).

وعن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما أنَّه قال في قَولِ اللهِ تعالى :تَعرُجُ المَلائِكةُ والرُّوحُ إليه في يَومٍ كان مِقدارُه خَمسينَ ألفَ سَنةٍ]المعارج: ٤) :[فهذا يَومُ القيامةِ، جَعلَه اللهُ على الكافِرين مِقدارَ خَمسينَ ألفَ سَنةٍ. (

وقال ابنُ بازٍ: (اعلَمْ أنَّ يَومَ القيامةِ له أحوالٌ وله شُؤونٌ، وهو يَومٌ طَويلٌ، مِقدارُه خَمسونَ ألفَ سَنةٍ، كما قال جَلَّ وعلا في كِتابِه العَظيمِ :تَعْرُجُ المَلائِكةُ والرُّوحُ إليه في يَومٍ كان مِقدارُه خَمسينَ ألفَ سَنةٍ. ([١٢٤]

وقال ابنُ عُثَيمين: (إنَّ يَومَ القيامةِ كان مِقدارُه خَمسينَ ألفَ سَنةٍ، كما في سورةِ المَعارِجِ في قَولِه تعالى :في يَومٍ كان مِقدارُه خَمسينَ ألفَ سَنةٍ فاصِبِرْ صَبْرًا جَميلًا، وبيَّنَه الرَّسولُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ في حَديثِ أبي هُريرةَ في مُسلِمٍ، في مانِعِ الزَّكاةِ أنَّه يُعَذَّبُ بها في يَومٍ كان مِقدارُه خَمسينَ ألفَ سَنةٍ [١٢٥]

[١٢٤] يُنظر: ((فتاوى نور على الدرب)) (ص: ١١٤).
[١٢٥] يُنظر: ((شرح مقدمة التفسير)) (ص: ١٤٧).

ثامنا: المراد بالشفاعة وأنواعها وشروطها.

أولا: المراد بالشفاعة وأنواعها وشروطها:

تعريف الشفاعة لغة:

الشَّفاعةُ لُغةً: الانضِمامُ إلى آخَرَ ناصِرًا له وسائِلًا عنه، وأكثَرُ ما يُستعمَلُ في انضمامِ مَن هو أعلى حُرمةً ومرتبةً إلى من هو أدنى. ومنه: الشَّفَاعَةُ في القيامةِ، وأصلُ (شفع) يدُلُّ على مقارنةِ الشَّيئينِ[126]

تعريف الشفاعة اصطلاحا:

الشَّفاعةُ في الِاصطِلاحِ تَعني: طَلَبَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أو غَيرِه من اللهِ حُصولَ مَنفَعةٍ لأحَدٍ من الخَلقِ في الدَّارِ الآخِرةِ.
ويَدخُلُ تَحتَ هذا التَّعريفِ جَميعُ أنواعِ الشَّفاعاتِ.
وقال ابنُ عُثَيمين عن الشَّفاعةِ هيَ: (التَّوَسُّطُ للغَيرِ بجَلبِ مَنفَعةٍ أو دَفعِ مَضَرَّةٍ، والشَّفاعةُ يَومَ القيامةِ نَوعانِ: خاصَّةٌ بالنَّبيِّ –صلَّى اللهُ عليه وسلَّم– وعامَّةٌ له ولِغَيرِه) [127]

شروط الشفاعة: للشفاعة شرطان:

الأول: إذن الله للشافع

قال تعالى :مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَه إِلَّا بِإِذْنِهِ]البَقرةُ: ٢٥٥,[

وقال تعالى مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِه]يونس: ٣ [و

[126] يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٢٠١)، ((المفردات في غريب القرآن)) (ص: ٤٥٧).
[127] يُنظر: ((شرح لمعة الاعتقاد)) (ص: ١٢٨).

وقال تعالى لَا تَنْفَعُ الشَّفاعةُ عِندَه إلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ]سَبَأ: ٢٣ [

وقال تعالى :وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى]النجم: ٢٦.[

قال البَغَويُّ) :وكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ مِمَّن يَعبُدُهم هؤلاء الكُفَّارُ ويَرْجونَ شفاعتَهم عِندَ الله، لا تُغني شفاعتُهم شَيئًا إلَّا من بَعدِ أن يَأذَنَ اللهُ في الشَّفاعةِ لِمَن يَشاءُ ويَرضى، أي: مِن أهلِ التَّوحيدِ ([128]

الثاني: رضا الله عن الشَّافِعِ والمَشفوعِ له

الدَّليلُ:

قَولُ اللهِ عزَّ وجَلَّ :وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى]الأنبياء: ٢٨. [

قال ابنُ جَريرٍ) :وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى]الأنبياء: ٢٨ [يَقولُ: ولا تَشفَعُ المَلائِكةُ إلَّا لِمن رَضِيَ اللهُ عنه([129]

وقال اللهُ تعالى :يَوْمَئِذٍ لا تنفَعُ الشَّفاعةُ إلَّا من أَذِنَ لَهُ الرَّحمَنُ ورَضِيَ لَهُ قَولًا .

قال البَغَويُّ) :يَوْمَئِذٍ لا تَنفَعُ الشَّفاعةُ، يَعني: لا تَنفَعُ الشَّفاعةُ أحَدًا من النَّاسِ إلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ يَعني: إلَّا من أذِنَ له اللهُ أن يَشفَعَ، ورَضِيَ له قَولًا يَعني: ورَضِيَ قَولَه. قال ابنُ عَبَّاسٍ: يَعني قال: لا إلَهَ إلَّا اللهُ، فهذا يَدُلُّ على أنَّه لا يَشفَعُ لغَيرِ المُؤمِنِ([130]

قال مُحَمَّد خَليل هرَّاس: (الشَّفاعةُ من الأمورِ التي ثَبَتَت بالكِتابِ والسُّنَّةِ، وأحاديثُها مُتَواتِرةٌ، قال تعالى :مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَه إلَّا بِإِذْنِه فنَفيُ الشَّفاعةِ بلا إذْنٍ إثباتٌ للشَّفاعةِ من بَعدِ الإذْنِ. قال تعالى عن المَلائِكةِ :وكَمْ

[128] يُنظر: ((تفسير البغوي)).(4/ 310)
[129] يُنظر: ((تفسير ابن جرير)).(16/ 252)
[130] يُنظر: ((تفسير البغوي)).(3/ 275)

مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى .فبَيَّنَ اللهُ الشَّفاعةَ الصَّحيحةَ، وهيَ التي تَكونُ بإذْنِه، ولِمَن يَرتَضي قَولَه وعَمَلَه ([١٣١]

أنواع الشفاعة:

شفاعة مثبتة وهي أنواع:

الشَّفاعةُ المُثبَتةُ لها عِدَّةُ أنواعٍ، هيَ:

-1الشَّفاعةُ العُظمى -2 .الشَّفاعةُ في دُخولِ المُؤمِنينَ الجَنَّةَ -3 .الشَّفاعةُ لرَفعِ دَرَجاتِ أهلِ الجَنةِ -4 . الشَّفاعةُ لقَومٍ استَحَقُّوا النَّارَ ألَّا يَدخُلوها -5 .الشَّفاعةُ في أهلِ الكَبائرِ -6 .شفاعةُ الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لَعَمِّه أبي طالِبٍ في تَخفيفِ العَذابِ عنه -7 .الشَّفاعةُ لأقوامٍ أن يَدخُلوا الجَنَّةَ بغَيرِ حِسابٍ -8 .شَفاعةُ الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لأهلِ المَدينةِ.

ومن هذه الشَّفاعاتِ ما هو خاصٌّ بالنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ومنها ما يَكونُ له ولِلأنبياءِ الآخَرينَ عليهمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ، ومنها ما يَكونُ لخَواصِّ الخَلقِ[١٣٢]

شفاعة منفية:

و لها عِدَّةُ أنواعٍ، هيَ:

-1الشَّفاعةُ التي تُطلَبُ من غَيرِ اللهِ فيما لا يَقدِرُ عليه إلَّا اللهُ.

-2الشَّفاعةُ للكُفَّارِ.

-3الشَّفاعةُ بدونِ إذْنِ رَبِّ السَّمَواتِ والأرضِ.

قال ابنُ تَيميَّةَ: (الشَّفاعةُ المَنفيَّةُ في القُرآنِ، كقَولِه تعالى :واتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ، وقَولِه تعالى وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُها شَفَاعَةٌ، وقَولِه :مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ، وقَولِه :فَمَا لَنا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ، وقَولِه :مَا للظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ

[١٣١] يُنظر: ((شرح العقيدة الواسطية)) (ص: ٢١٥).
[١٣٢] يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٣/ ١٤٧)، ((تهذيب سنن أبي داود)) لابن القيم (١٣/ ٥٥)، ((فتاوى نور على الدرب)) لابن باز (٢/ ١٠٣)، ((شرح العقيدة الواسطية)) لابن عثيمين.(168 /2)

وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ، وقوله :يَومَ يَأْتِي تَأويلُهُ يَقُولُ الذينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بالحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ وأمثالِ ذلك[١٣٣](

أنواع الشفاعات المثبتة:

١- شفاعةُ نبينا مُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم

عن أبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنه أنَّه قال: قيلَ: يا رَسولَ اللهِ، من أسعَدُ النَّاسِ بشفاعتِك يومَ القيامةِ؟ قال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم)) :لَقد ظَنَنتُ يا أبا هُرَيرةَ ألَّا يَسألَني عن هذا الحَديثِ أحَدٌ أوَّلَ مِنك؛ لِما رَأيتُ من حِرصِك على الحَديثِ، أسعَدُ النَّاسِ بشفاعتي يَومَ القيامةِ مَن قال: لا إلَهَ إلَّا اللهُ، خالِصًا من قَلبِه أو نَفسِه ((١٣٤

وعن جابِرِ بن عَبدِ الله رَضِيَ الله عنهما أنَّ رَسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال)) :مَن قال حينَ يَسمَعُ النِّداءَ: اللهُمَّ رَبَّ هذه الدَّعوةِ التَّامَّةِ والصَّلاةِ القائِمةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسيلةَ والفَضيلةَ، وابعَثْه مَقامًا محمودًا الذي وَعَدْتَه؛ حَلَّت له شفاعتي يَومَ القيامةِ ((١٣٥

وعن جابِرِ بنِ عَبدِ الله رَضِيَ الله عنهما أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال)) :أُعطِيتُ خَمسًا لَم يُعْطَهُنَّ أحَدٌ قَبلي: نُصِرْتُ بالرُّعبِ مَسيرةَ شَهرٍ، وجُعِلَت لي الأرضُ مَسجِدًا وطَهورًا، فأيُّما رَجُلٍ من أمَّتي أدرَكَته الصَّلاةُ فليُصَلِّ، وأحِلَّتْ لي المَغانِمُ ولَم تَحِلَّ لأحَدٍ قَبلي، وأُعطِيتُ الشَّفاعةَ، وكان النَّبيُّ يُبعَثُ إلى قَومِه خاصَّةً وبُعِثتُ إلى النَّاسِ عامَّةً ((١٣٦

وعن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عنهما قال)) :إنَّ النَّاسَ يَصيرونَ يَومَ القيامةِ جُثًا، كُلُّ أمَّةٍ تَتبَعُ نَبيَّها، يَقولونَ: يا فُلانُ اشفَعْ، حَتَّى تَنتَهيَ الشَّفاعةُ إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فذلك يَومُ يَبعَثُه اللهُ المَقامَ المَحمودَ((١٣٧

١٣٣ يُنظر: ((مجموع الفتاوى)).(116 /1)
١٣٤ أخرجه البخاري(99)
١٣٥ أخرجه البخاري.(614)
١٣٦ أخرجه البخاري (٣٣٥) واللَّفظُ له، ومسلم.(521)
١٣٧ أخرجه البخاري.(4718)

١- الشفاعة العظمى:

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه قال: أُتِيَ رَسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يومًا بلَحمٍ، فرُفِعَ إليه الذِّراعُ وكانت تُعجِبُه، فنَهسَ منها نَهسةً، فقال)) :أنا سَيِّدُ النَّاسِ يومَ القيامةِ، وهَل تَدرونَ بمَ ذاك؟ يجمَعُ اللهُ يومَ القيامةِ الأوَّلينَ والآخِرين في صَعيدٍ واحِدٍ، فيُسمِعُهم الدَّاعي، ويَنفُذُهم البَصَرُ ، وتَدنو الشَّمسُ فيَبلُغُ النَّاسَ من الغَمِّ والكَربِ ما لا يُطيقونَ وما لا يحتَمِلونَ، فيَقولُ بَعضُ النَّاسِ لبَعضٍ: ألا تَرَونَ ما أنتم فيه، ألا تَرَونَ ما قد بَلَغَكم، ألَا تَنظُرونَ مَن يَشفَعُ لَكم إلى رَبِّكم؟ فيَقولُ بَعضُ النَّاسِ لبَعضٍ: ائتُوا آدَمَ، فيَأتون آدَمَ فيَقولونَ: يا آدَمُ أنتَ أبو البَشَرِ، خَلقَك اللهُ بيدِه ونَفخَ فيك من رُوحِه وأمرَ المَلائِكةَ فسَجَدوا لَك، اشفَعْ لَنا إلى رَبِّك، ألا تَرى ما نَحنُ فيه، ألا تَرى ما قد بَلَغنا؟ فيَقولُ آدَمُ: إنَّ رَبي غَضِبَ اليَومَ غَضبًا لم يَغضَبْ قَبْلَه مِثلَه ولَن يَغضَبَ بَعدَه مِثلَه، وإنَّه نَهاني عن الشَّجَرةِ فعَصَيتُه. نَفسي نَفسي، اذهَبوا إلى غَيري، اذهَبوا إلى نوحٍ. فيَأتون نوحًا عليه السَّلامُ فيَقولونَ: يا نوحُ، أنتَ أوَّلُ الرُّسُلِ إلى الأرضِ وسَمَّاك اللهُ عَبدًا شَكُورًا، اشفَعْ لَنا إلى رَبِّكَ، ألَا تَرى ما نَحنُ فيه، ألا تَرى ما قد بَلَغنا؟ فيَقولُ لهم: إنَّ رَبي قد غَضِبَ اليَومَ غَضبًا لَم يَغضَبْ قَبلَه مِثلَه ولَن يَغضَبَ بَعدَه مِثلَه، وإنَّه قد كانت دَعوةٌ دَعَوتُ بها على قَومي. نَفسي نَفسي، اذهَبوا إلى إبراهيمَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فيَأتون إبراهيمَ فيَقولونَ: أنتَ نَبيُّ اللهِ وخَليلُه من أهلِ الأرضِ، اشفَعْ لَنا إلى رَبِّكَ، ألا تَرى ما نَحنُ فيه، ألا تَرى إلى ما قد بَلَغنا؟ فيَقولُ لهم إبراهيمُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: إنَّ رَبي قد غَضِبَ اليَومَ غَضبًا لَم يَغضَب قَبلَه مِثلَه ولَن يَغضَبَ بَعدَه مِثلَه، وذَكَرَ كَذَباتِه، نَفسي نَفسي، اذهَبوا إلى غَيري، اذهَبوا إلى موسى. فيَأتون موسى عليه السَّلامُ فيَقولونَ: يا موسى، أنتَ رَسولُ اللهِ فضَّلَك اللهُ برِسالاتِه وبِتَكليمِه على النَّاسِ، اشفَعْ لَنا إلى رَبِّكَ، ألا تَرى ما نَحنُ فيه، ألا تَرى ما قد بَلَغنا؟ فيَقولُ لهم موسى عليه السَّلامُ: إنَّ رَبي قد غَضِبَ اليَومَ غَضبًا لَم يَغضَب قَبلَه مِثلَه ولَن يَغضَبَ بَعدَه مِثلَه، وإنِّي قَتَلتُ نَفسًا لَم أؤمَرْ بقَتلِها، نَفسي نَفسي، اذهَبوا إلى عيسى عليه السَّلامُ. فيَأتون عيسى فيَقولونَ: يا عيسى، أنتَ رَسولُ اللهِ وكَلَّمْتَ النَّاسَ في المَهدِ، وكَلِمةٌ منه ألقاها إلى مَريَمَ وُروحٌ منه، فاشفَع لَنا إلى رَبِّكَ، ألا تَرى ما نَحنُ فيه، ألا تَرى ما قد بَلَغنا؟ فيَقولُ لهم عيسى عليه السَّلامُ: إنَّ رَبي قد غَضِبَ اليَومَ غَضبًا لَم يَغضَبْ قَبلَه مِثلَه ولَن يَغضَبَ بَعدَه مِثلَه، ولَم يَذكُرْ له ذَنبًا، نَفسي نَفسي، اذهَبوا إلى غَيري، اذهَبوا إلى مُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم. فيَأتوني فيَقولونَ: يا مُحَمَّدُ، أنتَ رَسولُ اللهِ وخاتَمُ الأنبياءِ، وغَفرَ اللهُ لَك ما تَقَدَّمَ من ذَنبِك وما تَأخَّرَ، اشفَعْ لَنا إلى رَبِّكَ، ألا تَرى ما نَحنُ فيه، ألا تَرى إلى ما قد بَلَغنا؟ فأنطَلِقُ فآتي تَحتَ العَرْش فأقَعُ ساجِدًا لرَبي، ثُمَّ يَفتحُ اللهُ عليَّ ويُلهِمُني من مَحامِدِه وحُسنِ الثُّناءِ عليه شَيئًا لَم يَفتحْه لأحَدٍ قَبلي. ثُمَّ قال: يا مُحَمَّدُ، ارفَعْ رَأسَك، سَلْ تُعطَه، اشفَعْ

تُشَفَّعْ، فأرفَعُ رَأسي فأقولُ: يا رَبِّ أُمَّتي أُمَّتي، فيُقالُ: يا مُحَمَّدُ، أدخَلِ الجَنَّةَ من أمَّتِك من لا حِسابَ عليه من البابِ الأيمَنِ من أبوابِ الجَنَّةِ، وهم شُركاءُ النَّاسِ فيما سِوى ذلك من الأبوابِ، والذي نَفسُ مُحَمَّدٍ بيدِه إنَّ ما بينَ المِصراعينِ من مَصاريعِ الجَنَّةِ لَكَمَا بينَ مَكَّةَ وهَجَرٍ، أو كما بينَ مَكَّةَ وبُصْرى[١٣٨]. ((وفي رِوايةٍ)) :وُضِعَت بينَ يَديْ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قَصعةٌ من ثَريدٍ ولَحمٍ، فتناوَلَ الذِّراعَ وكانت أحَبَّ الشَّاةِ إليه، فنَهسَ نَهسةً، فقال: أنا سَيِّدُ النَّاسِ يَومَ القيامةِ، ثُمَّ نَهسَ أُخرى، فقال: أنا سَيِّدُ النَّاسِ يَومَ القيامةِ، فلَمَّا رَأى أصحابَه لا يَسألونَه قال: ألَا تَقولونَ: كيفَ؟ قالوا: كيفَ يا رَسولَ اللهِ؟ قال: يَقومُ النَّاسُ لرَبِّ العالَمينَ ((...وزادَ في قِصَّةِ إبراهيمَ فقال: وذَكَرَ قَولَه في الكَوكَبِ :هَذَا رَبِّي، وقَولُه لآلِهَتِهم :بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا، وقَولُه :إِنِّي سَقِيمٌ [١٣٩]

قال حافِظٌ الحَكَميُّ: (ففي هذا الحَديثِ الجَمعُ بينَ ذِكرِ الشَّفاعتينِ: الأُولى في فصلِ القَضاءِ، والثَّانيةُ في استِفتاحِ بابِ الجَنةِ، وسُمِّيَ ذلك كُلُّه المَقامَ المَحمودَ)[١٤٠]

٢- شفاعته صلى الله عليه وسلم في استفتاح باب الجنة

عن أنسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ الله عنه قال: قال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم)) :أنا أوَّلُ النَّاسِ يَشفَعُ في الجَنَّةِ، وأنا أكثَرُ الأنبياءِ تَبَعًا((١٤١

وعن أنسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ الله عنه قال: قال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم)) :آتي بابَ الجَنَّةِ يَومَ القيامةِ فأستَفتِحُ، فيَقولُ الخازِنُ، من أنتَ؟ فأقولُ: مُحَمَّدٌ، فيَقولُ: بك أُمِرْتُ لا أفتَحُ لأحَدٍ قَبلَك((١٤٢

٣- شفاعته فيمن سكن المدينة ومات بها:

عن أبي سَعيدٍ مولى المَهريِّ أنَّه جاءَ أبا سَعيدٍ الخُدْريَّ لياليَ الحَرَّةِ فاستَشارَه في الجَلاءِ عن المَدينةِ، وشَكا إليه أسعارَها وكَثرةَ عيالِه، وأخبَرَه ألَّا صَبْرَ له على جَهدِ المَدينةِ ولَأْوائِها. فقال له: ويحَكَ لا آمُرُك بذلك: إنِّي

١٣٨ أخرجه البخاري (٣٣٤٠) مختصرًا، ومسلم (١٩٤) واللَّفظُ له.
١٣٩ أخرجه مسلم.(194)
١٤٠ يُنظر: ((معارج القبول))(2/896)
١٤١ أخرجه مسلم.(196)
١٤٢ أخرجه مسلم.(197)

سَمِعتُ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يَقولُ)) :لا يَصبِرُ أحَدٌ على لَأْوائِها فيَموتُ إلَّا كُنتُ له شَفيعًا أو شَهيدًا يَومَ القيامةِ إذا كان مُسلِمًا(([143]

[144]وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال)) :لا يَصبِرُ على لَأْواءِ المَدينةِ وشِدَّتِها أحَدٌ من أمَّتي إلَّا كُنتُ له شَفيعًا يَومَ القيامةِ أو شَهيدًا(([145]

٢- شفاعةُ الأنبياءِ الآخَرينَ

من الشفاعات الشَّفاعةُ فيمَن دَخلَ النَّارَ من المُؤمِنينَ أهلِ الكَبائِرِ أن يَخرُجوا منها بَعدَما احتَرَقوا وصاروا فَحمًا وحَميمًا... وهذه الشَّفاعةُ تَكونُ للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وغَيرِه من الأنبياءِ والمَلائِكةِ والمُؤمِنينَ؛ لحَديثِ أبي سَعيدٍ عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وفيه)) :فيَقولُ اللهُ تعالى: شَفَعَتِ المَلائِكةُ، وشَفعَ النَّبيُّونَ، وشَفعَ المُؤمِنونَ، ولَم يَبقَ إلَّا أرحَمُ الرَّاحِمينَ، فيَقبِضُ قَبضةً من النَّارِ فيُخرِجُ منها قَومًا لَم يَعمَلوا خَيرًا قَطُّ قد عادوا حُمَمًا[146] ((

٣- شَفاعةُ المَلائِكةِ

الدليل: قولُ اللهِ تعالى :وَكَم مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى]النجم: ٢٦ .[

والحديث السابق

٤- شَفاعةُ الشُّهَداءِ

عن نمرانَ بنِ عُتبةَ الذماريّ قال: دَخَلْنا على أمِّ الدَّرداءِ ونَحنُ أيتامٌ، فقالت: أبشِروا، فإنِّي سَمِعتُ أبا الدَّرداءِ يَقولُ: قال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم)) :يَشفَعُ الشَّهيدُ في سَبعينَ من أهلِ بَيتِه[147] ((

---

[143] أخرجه مسلم.(1374)

[144] أخرجه مسلم .(1377)

[145] أخرجه مسلم .(1378)

[146] أخرجه مطولًا البخاري (٧٤٣٩) باختلافٍ يسيرٍ، ومسلم (١٨٣) واللَّفظُ له. من حديثِ أبي سعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ اللهُ عنه.

[147] أخرجه من طرق أبو داود (٢٥٢٢) واللَّفظُ له، والبزار (٤٠٨٥)، وابن حبان (٤٦٦٠). صحَّحه ابن حبان،

٥- شَفاعةُ الوِلْدانِ

عن أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال)) :لا يَموتُ لِمُسلِمٍ ثَلاثةٌ من الوَلَدِ فيَلِجُ النَّارَ إلَّا تَحِلَّةَ القَسَمِ((

عن أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه أنَّ رَسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال لنِسوةٍ من الأنصارِ)) :لا يَموتُ لإحداكُنَّ ثَلاثةٌ من الوَلَدِ فتحتَسِبُه إلَّا دَخَلَتِ الجَنَّةَ، فقالتِ امرَأةٌ منهنَّ: أوِ اثنينَ يا رَسولَ اللهِ؟ قال: أوِ اثنينِ((

٦- شفاعةُ المُؤمِنينَ بَعضِهم لبَعضٍ

عن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ الله عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال ...)) :فما أنتم بأشَدَّ لي مُناشَدةً في الحَقِّ قد تَبَيَّنَ لكم من المُؤمِنِ يومَئِذٍ للجَبَّارِ، وإذا رَأَوا أنَّهم قد نَجَوا في إخوانِهم، يَقولونَ: رَبَّنا إخوانُنا كانوا يُصَلُّونَ مَعنا، ويَصومونَ مَعنا، ويَعمَلونَ مَعنا، فيَقولُ الله تعالى: اذهَبوا فمَن وجَدتُم في قَلبِه مِثقالَ دينارٍ من إيمانٍ فأخرِجوه، ويُحَرِّمُ اللهُ صُوَرَهم على النَّارِ، فيَأتونَهم وبَعضُهم قد غابَ في النَّارِ إلى قَدَمِه، وإلى أنصافِ ساقَيه، فيُخرِجونَ من عَرَفوا، ثُمَّ يَعودونَ، فيَقولُ: اذهَبوا فمَن وجَدتُم في قَلبِه مِثقالَ نِصفِ دينارٍ فأخرِجوه، فيُخرِجونَ من عَرَفوا، ثُمَّ يَعودونَ، فيَقولُ: اذهَبوا فمَن وجَدتُم في قَلبِه مِثقالَ ذَرَّةٍ من إيمانٍ فأخرِجوه، فيُخرِجونَ من عَرَفوا. قال أبو سَعيدٍ: فإن لَم تُصدِّقوني فاقرَؤوا :إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا، فيَشفَعُ النَّبيونُ، والمَلائِكةُ، والمُؤمِنونَ، فيَقولُ الجَبَّارُ: بَقِيَت شفاعتي[١٤٨] ((

٧- شَفاعةُ القُرآنِ الكريمِ لأصحابِه

عن أبي أُمامةَ رَضِيَ الله عنه قال: سَمِعتُ رَسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يَقولُ)) :اقرَءوا القُرآنَ؛ فإنَّه يَأتي يَومَ القيامةِ شَفيعًا لأصحابِه((

[١٤٨] أخرجه مطولًا البخاري (٧٤٣٩) واللَّفظُ له، ومسلم (١٨٣) باختلافٍ يسيرٍ.

أولا: أدلة وجود الجنة والنار وأبديتهما وصفاتهما:

أَوَّلًا: الجَنَّةُ والنَّارُ مَخلوقتانِ الآنَ، وقد أُعِدَّتا لأهْلِهما.

قال اللهُ تعالى :وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ]آل عمران: ١٣٣.]

قال ابنُ عثيمين: (هذا أمرٌ دَلَّ عليه الكِتابُ والسُّنَّةُ، وأجمع عليه أهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ؛ أنَّ الجنَّةَ موجودةٌ الآنَ؛ ولهذا قال اللهُ تعالى :وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ]آل عمران: ١٣٣]، أُعِدَّت: يعني هُيِّئَت. وهذا دليلٌ على أنها موجودةٌ الآن، كما أنَّ النَّارَ أيضًا موجودةٌ الآن، ولا تفنيانِ أبدًا[149].)

وقال اللهُ سُبحانَه :فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ]البقرة: ٢٤.]

قال ابنُ كثير: (قَولُه تعالى :أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ الأظهَرُ أنَّ الضَّميرَ في أُعِدَّتْ عائدٌ إلى النَّارِ التي وَقودُها النَّاسُ والحِجارةُ، ويحتَمِلُ عَودُه على الحجارةِ، كما قال ابنُ مسعودٍ، ولا منافاةَ بين القولينِ في المعنى؛ لأنَّهما متلازِمانِ. وأُعِدَّتْ أي: أُرصِدَت وحَصَلت للكافِرينَ باللهِ ورَسولِه... وقد استدلَّ كثيرٌ من أئمَّةِ السُّنَّةِ بهذه الآيةِ على أنَّ النَّارَ موجودةٌ الآنَ؛ لِقَولِه :أُعِدَّتْ أي: أُرصِدَت وهُيِّئَت، [150]

وقال اللهُ عَزَّ وجَلَّ :إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا]الكهف: ٢٩.]

قال ابنُ عُثيمين: (نُؤمِنُ بالجَنَّةِ والنَّارِ، فالجَنةُ دارُ النَّعيمِ الَّتي أعَدَّها اللهُ تعالى لِلمُؤمِنينَ المُتَّقينَ، فيها مِنَ النَّعيمِ ما لا عينٌ رأتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خطَرَ على قَلب بَشَرٍ :فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ]السجدة: ١٧.]

والنَّارُ دارُ العَذابِ الَّتي أعَدَّها اللهُ تعالى لِلكافِرينَ الظَّالِمينَ، فيها مِنَ العَذابِ والنَّكالِ ما لا يَخطُرُ على البالِ :إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ

---

[149] يُنظر: ((شرح رياض الصالحين)) (٢/ ١٧٥)
[150] يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (١/ ٢٠٢)

وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا]الكهف: ٢٩ [، وهما مَوجُودَتانِ الآنَ ولَن تَفنَيَا أبَدَ الآبدينَ[١٥١]. (

وعَن عَبدِ اللهِ بنِ عُمرَ رَضيَ اللهُ عَنهما أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال)) :إنَّ أحَدَكم إذا مات عُرِضَ عليه مَقعَدُه بالغَداةِ والعَشيِّ، إن كانَ مِن أهلِ الجَنَّةِ فمِن أهلِ الجَنةِ، وإن كانَ مِن أهلِ النَّارِ فمِن أهلِ النَّارِ، يُقالُ هذا مَقعَدُكَ حَتَّى يَبعَثَكَ اللهُ إليه يَومَ القيامةِ(([١٥٢]

قال ابنُ عَبدِ البَرِّ: (الدَّلائِلُ مِنَ الآثارِ كثيرةٌ على أنَّ الجَنَّةَ مَخلُوقةٌ بَعدُ والنَّارَ مَخلُوقةٌ بَعدُ؛ فمِن ذَلِكَ... قَولُه: "اشتَكَتِ النَّارُ إلى رَبِّها" هذا الحَديثُ أبيَنَ شيءٍ في أنَّها قَد خُلِقَت وأنَّها باقيةٌ شِتاءً وصيفًا) .

وعَن أنسٍ رَضيَ اللهُ عَنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال)) :والَّذي نَفسُ مُحَمَّدٍ بيَدِه، لَو رَأيتُم ما رَأيتُ لضَحِكتُم قَليلًا ولبَكيتُم كَثيرًا. قالُوا: وما رَأيتَ يا رَسولَ اللَّهِ؟ قال: رَأيتُ الجَنَّةَ والنَّارَ (([١٥٣]

ومِن أقوالِ أهلِ العِلمِ في هذا الشَّأنِ:

-1قال أحمَدُ بنُ حَنبلٍ: (الجَنَّةُ والنَّارُ مَخلُوقَتانِ، قَد خُلِقَتا كما جاءَ الخَبَرُ عَن رَسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ... فمَن زَعَم أنَّهما لَم يُخلَقا فهو مُكَذِّبٌ برسُولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وبالقُرآنِ، كافِرٌ بالجَنةِ وبالنَّارِ، يُستَتابُ، فإنْ تاب وإلَّا قُتِلَ) .

أبدية الجنة والنار:

قال اللهُ تعالى :وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا]النساء: ١٢٢. [

قال ابنُ جَريرٍ) :خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا يَقُولُ: باقينَ في هذه الجَنَّاتِ الَّتي وصَفَها أبَدًا دائِمًا(

وقال اللهُ سُبحانَه :وَمَن يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ]التغابن: ٩.[

---

[١٥١] يُنظر: ((عقيدة أهل السنة والجماعة)) (ص: ٢٥).
[١٥٢] أخرجه البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦) واللَّفظُ له.
[١٥٣] أخرجه مسلم (٤٢٦) مطولًا.

قال ابنُ جَريرٍ: (قَولُه :خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا يَقُولُ: لابِثِينَ فيها أبَدًا، لا يَموتُونَ، ولا يُخرَجُونَ مِنها.
وقَولُه :ذَلِكَ الفَوزُ العَظِيمُ يَقُولُ: خُلُودُهم في الجَنَّاتِ الَّتي وصَفْنا النَّجاءُ العَظيمُ. (
وقال اللهُ عَزَّ وجَلَّ :وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ]الحجر: ٤٧-٤٨.[
قال ابنُ جَريرٍ) :وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ يَقُولُ: وما هم مِنَ الجَنَّةِ ونَعيمِها وما أعطاهمُ اللهُ فيها بمُخرَجينَ، بَل ذَلِكَ دائِمٌ أبَدًا (

وعَن عَبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهما أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال)) :إذا صارَ أهلُ الجَنةِ إلى الجَنةِ، وأهلُ النَّارِ إلى النَّارِ، جيءَ بالمَوتِ حَتَّى يُجعَلَ بينَ الجَنةِ والنَّارِ، ثُمَّ يُذبَحُ، ثُمَّ يُنادي مَنادٍ: يا أهلَ الجَنةِ لا مَوتَ، ويا أهلَ النَّارِ لا مَوتَ، فيَزدادُ أهلُ الجَنَّةِ فَرَحًا إلى فَرَحِهم، ويَزدادُ أهلُ النَّارِ حُزنًا إلى حُزنِهم ((١٥٤

قال ابنُ باز: (جَعَلَ اللهُ سُبحانَه هذه الدَّارَ طَريقًا لِلآخِرةِ، ومَعْبَرًا لَها، فمَن عَمَّرَها بطاعةِ اللهِ وتَوحيدِه، واتِّباعِ رُسُلِه عليهمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ، انتقَلَ مِن دارِ العَمَلِ وهي الدُّنيا، إلى دارِ الجَزاءِ وهي الآخِرةُ، وصارَ إلى دارِ النَّعيمِ والحبرةِ والسُّرُورِ، دارِ الكَرامةِ والسَّعادةِ، دارٍ لا يَفنى نَعيمُها، ولا يَموتُ أهلُها، ولا تَبلى ثيابُهم، ولا يَخلقُ شَبابُهم، بَل في نَعيمٍ دائِمٍ، وصِحَّةٍ دائِمةٍ، وشَبابٍ مُستَمِرٍّ، وحياةٍ طيبةٍ سَعيدةٍ، ونَعيمٍ لا يَنفَدُ، يُنادى فيهم مِن عِندِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ: «يا أهلَ الجَنَّةِ، إنَّ لَكم أن تَحيَوا فلا تَموتُوا أبَدًا، وإنَّ لكم أن تَصِحُّوا فلا تَسقَمُوا أبَدًا، وإنَّ لَكم أن تَشبُّوا فلا تَهرَمُوا أبَدًا، وإنَّ لَكم أن تنعَمُوا فلا تبأَسُوا أبَدًا» هذه حالُهم، ولَهم فيها ما يَشتَهونَ، ولَهم فيها ما يَدَّعُونَ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ]فُصِّلت: ٣٢[، ولَهم فيها لِقاءٌ مَعَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ كما يَشاءُ، ورُؤيةُ وَجْهِه الكَريمِ جَلَّ وعَلا١٥٥. (
وقال ابنُ عُثيمين: (إنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أخبَرَ أنَّ أهلَ الجَنَّةِ يُنادي فيهم مُنادٍ: إنَّ لَكم أن تَحْيَوا فلا تَموتُوا أبَدًا وإنَّ لَكم أن تَصِحُّوا فلا تَسقَمُوا أبَدًا، وذَكَرَ الحَديثَ، أي: أنَّهم في نَعيمٍ دائِمٍ لا يَخافُونَ المَوتَ ولا

---

١٥٤ أخرجه البخاري (٦٥٤٨) واللَّفظُ له، ومسلم.(2850)
١٥٥ يُنظر: ((بيان التوحيد الذي بعث الله به الرسلُ جميعًا وبعث به خاتمَهم محمدًا عليه السلام)) (ص: ٥).

السَّقمَ ولا انقِطاعَ ما هم فيه مِنَ النَّعيمِ، كما قال تعالى :وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ]الواقعة: ٣٢-٣٣([١٥٦]

وأخبَرَ اللهُ تعالى بأنَّ أهلَ النَّارِ خالِدُونَ فيها خُلودًا مُؤَبَّدًا.

قال اللهُ تعالى :إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا]النساء: ١٦٨-١٦٩. [

وقال اللهُ سُبحانَه :إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا]الأحزاب: ٦٤. [

وقال اللهُ عَزَّ وجَلَّ :وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا]الجن: ٢٣. [

قال ابنُ كَثيرٍ عَنِ الآياتِ السَّابقةِ: (هذه ثَلاثُ آياتٍ، فيهِنَّ الحُكمُ عليهم بالخُلُودِ في النَّارِ أبَدًا، ليس لَهُنَّ رابعةٌ مِثلُهنَّ في ذَلِكَ) .

وقال ابنُ عُثيمين: (إنَّ النَّارَ مُؤَبَّدةٌ دائِمًا وأبَدًا؛ لِقَولِ اللهِ تبارك وتعالى في آياتٍ ثَلاثٍ في كِتابِه :خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا]النِّساءُ: ١٦٩[، فقال جَلَّ وعلا في سُورةِ النِّساءِ :إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا]النِّساءُ: ١٦٨- ١٦٩[، وتأبيدُ الخالِدِ يَدُلُّ على تأبيدِ مَكانِ الخُلُودِ ضَرُورةً، وإلَّا فكيفَ يَكُونُ خالِدًا في غيرِ مَحَلٍّ؟! هذا مُستَحيلٌ، وقال تعالى في سُورةِ الأحزابِ :إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا]الأحزاب: ٦٤ [وقال في سُورةِ الجِنِّ :وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا]الجن: ٢٣. ([

وقد وصفَهم اللهُ تعالى بعدَمِ الخُروجِ مِنَ النَّارِ

قال اللهُ سُبحانَه :وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ]البقرة: ١٦٧. [

قال ابنُ جَريرٍ: (يَعني تعالى ذِكرُه بذَلِكَ: وما هَؤُلاءِ الَّذينَ وصَفْتُهم مِنَ الكُفَّارِ وإن نَدِمُوا بَعدَ مُعايَنَتِهم ما عايَنُوا مِن عَذابِ اللهِ، فاشتَدَّتْ نَدامَتُهم على ما سَلَفَ مِنهم مِن أعمالِهِمُ الخَبيثةِ، وتَمَنَّوا إلى الدُّنيا كَرَّةً لِيُنيبُوا فيها، ويَتَبَرَّؤوا مِن مُضِلِّيهم وسادَتِهمُ الَّذينَ كانُوا يُطيعُونَهم في مَعصيةِ اللهِ فيها، بخارِجينَ مِنَ النَّارِ الَّتي أصلاهمُوها اللهُ بكُفْرِهم به في الدُّنيا، ولا نَدَمُهم فيها بمُنجِيهم مِن عَذابِ اللهِ حينَئِذٍ، ولكِنَّهم فيها مُخلَّدُونَ. وفي هذه الآيةِ الدَّلالةُ على تَكذيبِ اللهِ الزَّاعِمينَ أنَّ عَذابَ اللهِ أهلَ النَّارِ مِن أهلِ الكُفرِ مُنقَضٍ، وأنَّه إلى نِهايةٍ، ثُمَّ هو بَعدَ

[١٥٦] يُنظر: ((شرح رياض الصالحين))(6/ 733)

ذَلِكَ فانٍ؛ لِأنَّ اللهَ تعالى ذِكرُه أخبرَ عَن هَؤُلاءِ الَّذينَ وصَفَ صِفَتَهم في هذه الآيةِ، ثُمَّ خَتَم الخَبَرَ عَنهم أنَّهم غيرُ خارجِينَ مِنَ النَّارِ بغيرِ استِثناءٍ مِنه وقتًا دُونَ وقتٍ، فذَلِكَ إلى غيرِ حَدٍّ ولا نِهايةٍ) [157].

ومِن أقوالِ أهلِ العِلمِ في مَسألةِ بَقاءِ الجَنَّةِ والنَّارِ دُونَ فَناءٍ وأنَّ أهلَها الَّذينَ هم أهلُها مُخَلَّدُونَ فيها بلا انقِطاعٍ:

1- قال أبُو حاتِمٍ وأبُو زُرعةَ الرَّازيَّان: (أدركْنا العُلَماءَ في جَميعِ الأمصارِ -حِجازًا وعِراقًا وشامًا ويَمَنًا- فكانَ مِن مَذْهَبِهم... الجَنَّةُ حَقٌّ والنَّارُ حَقٌّ، وهما مَخلُوقانِ لا يَفنيانِ أبَدًا) [158]

قال القرطبي: (أجمَعُ عُلَماءُ أهلِ السُّنَّةِ على أنَّ أهلَ النَّارِ مُخَلَّدُونَ فيها غيرُ خارِجينَ مِنها؛ كإبليسَ وفِرْعَونَ، وهامانَ، وقارُونَ، وكُلُّ مَن كَفرَ وتَكبَّرَ، وطَغى وتَجبَّرَ، فإنَّ لَه نارَ جَهَنَّم لا يَمُوتُ فيها ولا يَحيا، وقَد وعَدَهمُ اللهُ عَذابًا أليمًا، فقال عَزَّ وجَلَّ: كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ وأجمَعَ أهلُ السُّنَّةِ أيضًا على أنَّه لا يَبقى فيها مُؤمِنٌ، ولا يُخلَّدُ فيها إلَّا كافِرٌ جاحِدٌ) [159]

19- قال ابنُ عُثيمين في بَقاءِ النَّارِ: (ذَكَر بَعضُ العُلَماءِ إجماعَ السَّلَفِ على أنَّها تَبقى ولا تَفنى، وذَكَرَ بَعضُهم خِلافًا عَن بَعضِ السَّلَفِ أنَّها تَفنى، والصَّوابُ أنَّها تَبقى أبَدَ الآبدِينَ؛ والدَّليلُ على هذا مِن كِتابِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ في ثَلاثِ آياتٍ مِنَ القُرآنِ: في سُورةِ النِّساءِ، وسُورةِ الأحزاب، وسُورةِ الجِنِّ؛ فأمَّا الآيةُ الَّتي في النِّساءِ فهي قَولُه تعالى: إنَّ الَّذينَ كَفَرُوا وظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا]النساء: ١٦٨، ١٦٩[، والَّتي في سُورةِ الأحزابِ قَولُه تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا]الأحزاب: ٦٤، ٦٥[، والَّتي في سُورةِ الجِنِّ قَولُه تعالى: وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا]الجن: ٢٣[، وليسَ بَعدَ كَلامِ اللهِ كَلامٌ... والصَّوابُ الَّذي لا شَكَّ فيه، وهو عِندي مَقطُوعٌ به، أنَّ النَّارَ باقيةٌ أبَدَ الآبدينَ؛ لِأنَّه إذا كانَ يُخلَّدُ فيها تَخليدًا أبَديًّا لَزِمَ أن تَكُونَ هي مُؤَبَّدةً؛ لِأنَّ ساكِنَ الدَّارِ إذا كانَ سُكُونُه أبَديًّا لا بُدَّ أن تَكُونَ الدَّارُ أيضًا أبَدِيَّةً) [160]

---

[157] يُنظر: ((تفسير ابن جرير)).(3/ 36)

[158] يُنظر: ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) للالكائي.(1/ 198)

[159] يُنظر: ((التذكرة)).(2/ 144)

[160] يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - الفاتحة والبقرة)).(1/ 86)

تاسعا: ثمرات الإيمان باليوم الآخر

أولا: ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

ذَكَرَ السَّعديُّ ثَمَراتٍ عَديدةً لِلإيمانِ باليَومِ الآخِرِ فقال:

)مِنها: أنَّ الإيمانَ باليَومِ الآخِرِ أحَدُ أركانِ الإيمانِ السِّتَّةِ، الَّتي لا يَصِحُّ الإيمانُ بدونِها، وكُلَّما ازدادَت مَعرِفتُه بتَفاصيلِه، ازدادَ إيمانُه.

ومِنها: أنَّ العِلمَ بذلك حَقيقةَ المَعرفةِ يَفتَحُ لِلإنسانِ بابَ الخَوفِ والرَّجاءِ، اللَّذَينِ إنْ خَلَا القَلبُ مِنهما خَرِبَ كُلَّ الخَرابِ، وإنْ عَمُرَ بهما أوجَب له الخَوفُ الانكِفافَ عَنِ المَعاصي، والرَّجاءُ تَيسيرَ الطَّاعةِ وتَسهيلَها، ولا يَتِمُّ ذلك إلَّا بمَعرِفةِ تَفاصيلِ الأمورِ الَّتي يُخافُ مِنها وتُحذَرُ؛ كأحوالِ القَبرِ وشِدَّتِه، وأحوالِ المَوقِفِ الهائِلةِ، وصِفاتِ النَّارِ المُفظِعةِ. وبمَعرِفةِ تَفاصيلِ الجَنةِ وما فيها مِنَ النَّعيمِ المُقيمِ، والحَبْرةِ والسُّرورِ، ونَعيمِ القَلبِ والرُّوحِ والبَدَنِ، فيَحدُثُ بسَبَبِ ذلك الاشتياقُ الدَّاعي لِلاجتِهادِ في السَّعيِ لِلمَحبوبِ المَطلوبِ، بكُلِّ ما يَقْدِرُ عليه.

ومِنها: أنَّه يَعرِفُ بذلك فضلَ اللَّه وعَدْلَه في المُجازاةِ على الأعمالِ الصَّالِحةِ والسَّيِّئةِ، الموجِبَ لِكَمالِ حَمدِه والثَّناءِ عليه بما هو أهلُه. وعلى قَدرِ عِلمِ العَبدِ بتَفاصيلِ الثَّوابِ والعِقابِ، يَعرِفُ بذلك فضلَ اللَّهِ وعَدلَه وحِكْمَتَه[١٦١]. (

وقال أيضًا عن الإيمانِ باليومِ الآخِرِ: (أعظَمُ باعثٍ على الرَّغبةِ والرَّهبةِ والعَمَلِ) [١٦٢].

وقال أيضًا: (إنَّ الإيمانَ بالبَعثِ والجَزاءِ أصلُ صَلاحِ القُلوبِ وأصلُ الرَّغبةِ في الخَيرِ، والرَّهبةِ مِنَ الشَّرِّ، اللَّذَينِ هما أساسُ الخَيراتِ) [١٦٣].

وقال ابنُ عُثَيمين: (لِلإيمانِ باليَومِ الآخِرِ ثَمَراتٌ جَليلةٌ؛ مِنها:

الأولَى: الرَّغبةُ في فِعلِ الطَّاعةِ والحِرصُ عليها رجاءً لِثَوابِ ذلك اليَومِ.

الثَّانيةُ: الرَّهبةُ من فِعلِ المَعصيةِ والرِّضا بها خَوفًا من عِقابِ ذلك اليَومِ.

الثَّالِثةُ: تَسليةُ المُؤمِنِ عَمَّا يَفوتُه مِنَ الدُّنيا بما يَرجوه من نَعيمِ الآخِرةِ وثَوابِها[١٦٤](

[١٦١] يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٣٧).
[١٦٢] يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٤١).
[١٦٣] يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٩٦٣).
[١٦٤] يُنظر: ((مجموع فتاوى ابن عثيمين)).(5/ 131)